علاقة الخليفة المسترَشد با بالساطنة السلجوقية (512-529هـ/ 1119-1135م)

*حمود مضعان محارب عيال سلمان**

ملخـص

يتحرى هذا البحث دراسة علاقة الخليفة المسترَشد با بالساطنة السلجوقية ودوره في مقاومة نفوذها في العراق إبان فترة خلافته.

تناول التمهيد بصورة مختصرة حياة الخليفة المسترَشد با (486-512هـ/1094-1135م)، ونشأة الساطنة السلجوقية وتطورها في الفترة (429-512هـ/ 1038-1135م)، فيما ركز البحث على دراسة علاقة الخليفة المسترَشد با بالساطنة السلجوقية طوال فترة خلافته (512-529هـ/1119-1135م)، فقسمت إلى أربع مراحل هي: الاستعداد للمواجهة (512-517هـ/1119-1131م) والمواجهة الأولى (517-525هـ/ 1124-1131م) المواجهه الثانية والاستقلال (525-529هـ/1131-1135م) الحرب مع السلطان مسعود ومقتل الخليفة (529هـ/1135م)

الكلمـات الدالـة: المسترَشد با ، الخلافة العباسية، الساطنة السلجوقية.

حياة الخليفة المسترَشد با (486-529هـ/ 1094-1135م)

هو المسترَشد با الفضل بن أحمد المستظهر با بن عبدا المقتدي بأمر ا بن محمد بن عبدا القائم بأمر ا بن أحمد القادربا بن إسحاق بن جعفر المقتدربا بن أحمد المعتضد با بن طلحة الموفق با بن جعفر المتوكل على ا ابن محمد المعتصم بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدا المنصور بن محمد بن علي بن عبدا بن العباس[1]، وأمه أم ولد،[2] واسمها لبابة،[3] أو طرقة[4] أو أقبلان[5]، توفيت ليلة الإثنين التاسع عشر من شوال سنة 528هـ/ 1134م[6].

ولد المسترَشد با ببغداد سنة 486هـ/1094م،[7] وعاش صباه وشبابه في ظل رعاية أبيه الخليفة المستظهر با (487-512هـ/1095-1119م)، وصفته المصادر بأنه كان شجاعاً، ذا همة عالية، وشهامة زائدة، كثير الإقدام، وذا رأي وهيبة شديدة وجلال ووقار، يحترمه عدوه قبل صديقه، وكان خليقاً للإمامة، قليل النظير[8] جميل السيرة، محباً للعدل، والإنصاف، ناهياً عن قصد الجور والاعتساف[9]، ومع أنه من الضروري إخضاع أحكام هؤلاء المؤرخين للدراسة، قبل الأخذ بها، فإن إجماعهم عليها يعطي انطباعاً واضحاً أن الخليفة المسترَشد با صاحب صفات مميزة.

قرأ المسترَشد با القرآن الكريم[10]، وسمع الحديث النبوي الشريف على كبار علماء عصره؛ فقد سمع الحديث من أبي الحسن العلاف سنة 494هـ/ 1101م،[11] ومن أبي القاسم بن بيان[12] ومن مؤدبه أحمد بن عبدالوهاب أبي البركات السيبي[13]. حتى أصبح من رواة الحديث؛ فقد روى عنه وزيره ابن طراد[14]، وحمزة بن علي الرازي، وإسماعيل بن الملقب[15]، ومحمد بن عمر بن مكي الأهرازي[16].

بيعته بولاية العهد

خطب الخليفة المستظهر با العباسي بولاية العهد لابنه الأكبر المسترَشد با في ربيع الأول سنة 488هـ/1096م، وعمره لم يتجاوز السنتين[17]، وفي سنة 508هـ/1115م، خطب المستظهر لابنه الثاني أبو الحسن علي بولاية العهد بعد أخيه المسترَشد با ، إذ أورد ابن العمراني وتبعه الكازروني أنه كان يخطُب في سنة 508هـ/ 1115م للخليفة المستظهر با ، ثم لولي العهد عمدة الدنيا والدين وعدة الإسلام والمسلمين أبي منصور الفضل بن أمير المؤمنين ثم لصنوه وأخيه وشقيقه، وتاليه ذخيرة الدنيا والدين أبي الحسن علي بن أمير المؤمنين، ثم بعد ذلك لمحمد بن ملكشاه (498-511/1105-1118م)، ثم لابنه محمود[18].

---

* قسم التاريخ، جامعة مؤتة، الأردن. تاريخ استلام البحث 2009/5/28، وتاريخ قبوله 2010/1/27.

بيعته بالخلافة وحركة أخيه أبي الحسن

توفي الخليفة المستظهر با سنة 512هـ/1118م، وبويع ابنه المسترشد با ، واتفقت المصادر أن البيعة تمت في يوم وفاة المستظهر من شهر ربيع الآخر سنة 512هـ/ 1118م[19]، تولى أخذ البيعة قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني[20]، وبايعه ابنا المستظهر وهما أبو عبدا محمد (المقتفي) وأبو طالب العباس، وعمومته، وأبناؤهم والأئمة والأعيان[21]، وكان نص بيعته:" أبايع سيدنا ومولانا أمير المؤمنين على كتاب ا وسنة نبيه - صلى ا عليه وسلم- وسنة الخلفاء الراشدين ما أطاق واستطاع وعلى الطاعة مني"[22].

تمت بيعة المسترشد با بالإجماع، باستثناء أخيه الأمير علي أبي الحسن، الذي أجمعت المصادر على أنه لم يبايعه[23]، واستغل انشغال الخليفة بالبيعة، فركب سفينة مع مجموعة من خواصه وانحدروا إلى المدائن، ومنها إلى الحلّة عند أميرها دبيس بن صدقة[24]. الذي أكرمه، وخصص له داراً تليق به تسمى دار الذهب، وعلم منه وفاة المستظهر[25].

عظم على الخليفة المسترشد با ، خروج أخيه عليه، وسيطرته على واسط وما حولها من مناطق الخلافة[26]، فأقدم على خلعه من ولاية العهد، وخطب لابنه أبي جعفر المنصور (الراشد با)[27]، وكان عمره حينئذ اثنتي عشرة سنة، وأرسل كاتب الإنشاء ابن الأنباري إلى دبيس في أمر الأمير أبي الحسن، يطلب منه القبض عليه، ووعده مقابل ذلك بمبلغ من المال، حدده كل من ابن حمدون وابن الجوزي والذهبي بعشرين ألف دينار[28]، وأوصله ابن العمراني إلى ثلاثين ألف دينار[29]، فأجاب دبيس بالسمع والطاعة، وأرسل جيشه بقيادة قائده عنان، لمقاتلة الأمير أبي الحسن، فلما سمع الأمير بذلك رحل عن واسط مهزوماً مع عسكره ليلاً، فضلوا الطريق، ورجعوا دون علمهم إلى واسط فوصلوا إلى عسكر دبيس، فلما لاح لهم عسكره، تشتت معظمهم ووقعوا في أسر عسكر دبيس، وانحرف الأمير في البرية وضلّ طريقه في عدد من خواصه، وكان الوقت صيفا، وفقدوا الماء، وحلّ بهم العطش، فأشرفوا على الهلاك، حتى أدركهم أحد جنود دبيس فسقاهم الماء ونهبهم وأوصلهم إلى قائده، الذي أوصلهم بدوره إلى دبيس، فبعث دبيس بالأمير إلى الخليفة بعد أن ضمن له الأمان، وصل الأمير أبو الحسن إلى بغداد، وأنزله الخليفة دار العزيزية التي كان يسكنها قبل خلافته، وأكرمه وخلع عليه وطيب نفسه[30]، لكنه عاد وضيق عليه وسجنه وبقي الأمير أبي الحسن في سجنه حتى وفاته سنة 525هـ/ 1131م[31].

نشأة السلطنة السلجوقية وتطورها في الفترة (429-512هـ/ 1038-1119م)[32]

ظهرت الدولة السلجوقية في مناطق أواسط قارة آسيا في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[33] وأخذت في التوسع على حساب جيرانها حتى استطاعت القضاء على الدولة الخوارزمية حين هزمتها في معركة داندنقان سنة 429هـ/1038م، فسيطرت على أثرها على خراسان وعاصمتها نيسابور[34]، وأعلن السلطان طُغْرلبك (429-455هـ/1038-1064م) نفسه حاكماً عليها وخطب باسمه[35] وعمل بعدها على تكوين علاقات سياسية مع الخلافة العباسية التي كانت تعيش حالة من الضعف، فتطورت هذه العلاقات لصالح السلاجقة الذين استطاعوا مد نفوذهم إلى العراق، ودخلوا بغداد وخُطب لهم فيها سنة 447هـ/ 1056م[36]. وخضعت الخلافة العباسية لسيطرتهم، مع انهم لم يتخذوا بغداد عاصمة[37]، فبقي السلطان طُغْرلبك يحكم الدولة السلجوقية حتى وفاته سنة 455/ 1064م وتولى الحكم من بعده ابنه السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/ 1064-1073م)[38] الذي استمر في سياسة سلفه التوسعية وعمل على تحسين علاقاته مع الخلافة العباسية[39].

توفي السلطان ألب أرسلان سنة 465هـ/ 1073م وملك بعده ابنه السلطان ملكشاه (465-485هـ/ 1073-1093م)[40] والذي وصلت الدولة السلجوقية في عهده أقصى اتساع لها؛ إذ شملت البلاد الواقعة من كاشغر شرقاً إلى أنطاكيا غرباً، ومن بحيرة خوارزم شمالاً إلى حدود اليمن جنوباً، وضمن أقاليم ما وراء النهر، وفارس، والعراق، وبعض أقاليم آسيا الصغرى وبعض إمارات بلاد الشام[41].

لكنها أخذت بالتراجع بعد وفاته، فقد أدت الصراعات والحروب التي أعقبت وفاة السلطان ملكشاه إلى ضعفها، وفقدانها لوحدتها وتماسكها، وعم الفساد واضطربت أحوال السكان وهجر الفلاحون أراضيهم، وانتشرت المجاعات. وقد وصف ابن الأثير هذه الحالة فقال: "... والحروب تطاولت وعم الفساد فصارت الأموال منهوبة والدماء مسفوكة، والبلاد مخربة والقرى محرقة، والسلطنة مطموعاً فيها، وأصبح الملوك مقهورين بعد أن كانوا قاهرين... شمل البلاد الخراب وطمع عدو الإسلام فيه"[42]، واستمر هذا الحال حتى وفاة السلطان بركياروق، وتولي أخيه السلطان محمد (498-511هـ/1105-1118م) الحكم بعد أن أستطاع بمساعدة أخيه سنجر السيطرة على الحكم، وتنحية ابن أخيه محمود بن بركياروق[43]، إلا أن عهده شهد العديد من حركات التمرد

والعصيان، التي قام بها أمراء من العائلة السلجوقية والأمراء التابعون لهم[44]، إضافة إلى ذلك كانت الدولة قد فقدت وحدتها وانقسمت إلى دويلات متناحرة في ما بينها، فسيطر سنجر على الأجزاء الشرقية منها (خراسان وبلاد ما وراء النهر) وأصبح حاكمها الفعلي[45]، واستقل أبناء تاج الدولة تتش ببلاد الشام[46] واستقل كذلك أبناء سليمان بن قتلمش بآسيا الصغرى في ما عرف تاريخياً بسلاجقة الروم[47]، وخضعت كرمان لأبناء قاودر السلجوقي[48]، فانحصرت سيطرة السلطان محمد في مناطق إيران والعراق مما مهد لظهور ما عرف بسلاجقة العراق، لذا يمكن اعتبار السلطان محمد أول سلاطينهم[49].

زاد من ضعف الدولة وانقسامها ظهور نظام الأتابكيات، والذي كان له الدور الأكبر في تفتت الدولة إلى إمارات صغيرة متناحرة في ما بينها[50]، وتعود نشأة هذا النظام إلى عهد السلطان ملكشاه، ويقوم على أن يعهد السلطان بتربية أبنائه الذكور لأمراء من أتباعه ويمنحهم حق الوصاية عليهم، فيتولى كل أمير تربية أحد الأبناء وتدبير شؤونه، ويحدد له منطقة معينه يحكمها باسم ابن السلطان[51]، لكن هؤلاء الأمراء سيطروا على هؤلاء الأبناء لصغر سنهم وحولوا هذه الأتابكيات إلى إمارات وراثية لهم ولأبنائهم من بعدهم وأصبحوا المسيطرين عليها[52].

وفي عهد السلطان محمد استفحل الخطر الإسماعيلي[53]، وانتشر دعاته في مناطق واسعة من الدولة، وسيطروا على كثير من القلاع الهامة، التي شكلت نقاط ضعف في جسم الدولة وجعلت الدولة تكرس كثيراً من جهدها في محاربة هذا الخطر والحد من آثاره[54].

كما واجهت الدولة السلجوقية في عهد السلطان محمد الخطر الصليبي، إذ تمكن الصليبيون من الاستيلاء على مناطق واسعة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية وآسيا الصغرى، في فترة قصيرة لم تتجاوز العقد (489-498هـ/ 1097-1105م) وأسسوا لهم إمارات حصينة في هذه المناطق كإمارات الرها (491هـ/ 1097م)[55] وإنطاكيا (492هـ/ 1098م)[56] وطرابلس (502هـ/ 1109م)[57] ومملكة بيت المقدس (492هـ/ 1099)[58] التي احتلوها سنة 492هـ/ 1099م[59].

تُوفي السلطان محمد بن ملكشاه سنة 511هـ/1118م وخلفه ابنه محمود الذي لم يتجاوز عمره أربع عشرة سنة وبضعة شهور[60]، وأعلن نفسه سلطاناً عاماً للسلاجقة[61]، وخُطب له بالسلطنة ببغداد[62]، لكن ذلك لم يكن ليرضي عمه سنجر بن ملكشاه الذي كان يعد نفسه كبير السلاجقة بعد وفاة أخويه السلطانين بركياروق ومحمد، مما دفعه إلى أن يعلن نفسه سلطاناً للسلاجقة[63]، وفرض سيطرته على المناطق الممتدة من كاشغر شرقاً إلى أقصى بلاد اليمن ومكة وخطب له على منابرها[64]، ولم يتعرض لحكم ابن أخيه محمود احتراما لأخيه السلطان محمد، وأبقى له الولايات التي كانت تحت حكم أخيه محمد[65]، لكن أمراء محمود، استغلوا ضعفه وصغر سنه، فأسرفوا في الأموال التي كان أبوه قد جمعها واقتسموها فيما بينهم مما أحدث أزمة مالية في دولة السلطان محمود[66]، وحرضوه على عمه سنجر فاستمع إليهم وأعلن تمرده عليه وسار إلى حربه والتقى معه عام 513هـ/ 1120م بالقرب من ساوة، لكن سنجر انتصر عليه وشتت جيشه[67] واعترف الخليفة المسترشد با له بهذا النصر وخطب له، ووضع اسمه مكان اسم ابن أخيه محمود، وذلك في السادس والعشرين من جمادى الأول سنة 513هـ/ 1120م[68] ثم قُبِل السلطان سنجر شفاعة أم السلطان محمود لابنها وسار محمود لاسترضاء عمه، فعفا عنه، واتفق الطرفان أن يكون سنجر السلطان الأعظم للسلاجقة، في حين يلقب محمود بالسلطان، ويخطب له بعد سنجر في المناطق التي يحمكها، وأن يكون تابعاً لسنجر، وأعاد له المناطق التي كان يحكمها ما عدا مدينة الري التي ضمها لمناطق حكمه ليراقب منها تصرفات السلطان محمود، كما نَصبه ولياً لعهده وزوجه ابنته وعندما توفيت زوجه بأُختها[69].

يعد هذا الاتفاق 513هـ/1120م التاريخ الرسمي لظهور دولة سلاجقة العراق ويعد السلطان محمود أول سلاطينها، كما برز في خراسان سلاجقة خراسان، الذين يمثلهم السلطان سنجر، وعرفوا بهذا الاسم تمييزاً لهم عن سلاجقة العراق، كما سموا بالسلاجقة العظام، وكان سلاجقة العراق يعترفون لسنجر بزعامة السلاجقة، كما يعترف الخليفة العباسي له بذلك[70]، وازدادت بعد هذا الاتفاق قوة السلطان سنجر وأصبح سيد السلاجقة دون منافس واتسع سلطانه، وبعث عماله لجمع الضرائب من كل مدن الدولة بما فيها المدن العراقية وبسط نفوذه على سائر أنحاء الدولة السلجوقية[71].

علاقة الخليفة المستَرشد با بالسلطنة السلجوقية (512-529هـ/1119-1135م)

بدت الخلافة العباسية خاضعة لسيطرة السلاجقة في الفترة (447-512هـ/1056-1119م)[72] ويمكن تقسيم علاقة الخليفة المستَرشد با مع السلاجقة خلال خلافته إلى المراحل التالية:

1- الاستعداد للمواجهة (512-517هـ/1119-1131م)

بويع المستَرشد با بالخلافة بعد وفاة أبيه المستظهر سنة 512هـ/1119م وقبيل خلافته اشتدت حالة التنافس بين السلاطين السلاجقة الطامحين للسلطة، إذ تحارب السلطان محمود مع عمه السلطان سنجر، وتمكن سنجر من هزيمة محمود، ثم عفا عنه وأعاده إلى حكمه[73]، كما ظهر منافسون آخرون للسلطان محمود هم إخوته (طغرل ومسعود وسلجوقشاه) ونشبت بين هؤلاء الإخوة صراعات امتدت طوال فترة حكم السلطان محمود (511-525هـ/1118-1131م)[74] وأدت هذه الصراعات إلى انشغال السلاطين عن أمر العامة وتركوا إدارة الأقاليم لنوابهم، الذين استغلوا ذلك، فتعدوا على السكان ومارس العديد منهم أعمال الظلم والتعسف؛ ففي سنة 512هـ/1119م قام شحنة بغداد الأمير منكبرس بمصادرة أموال الناس وظلم الأهالي، وأشاع الرعب بينهم: "فاختفى أرباب الأموال وانتقل جماعة منهم إلى حريم دار الخلافة خوفاً منه، وبطلت معايش الناس وكثر أصحاب الفساد"[75] كما لجأ بعض نواب السلاجقة إلى فرض المزيد من الضرائب، ففي سنة 515هـ/1122م عزم السلطان محمود على أخذ حق البيع وتجديد المكوس بالعراق[76]، وإلزام الباعة بدفع ثلثي ما يأخذون من الدلالة[77] "فتزايد الأمر في ذلك وكثر الأذى"[78]، وفي كثير من الأحيان كانت الضرائب تُجبى أكثر من مرة في العام الواحد نتيجة لتغير القادة في ذلك العام[79]، ومما زاد في تردي أحوال الأهالي حدوث الفيضانات وغرق المحاصيل[80]، وانتشار الأمراض والأوبئة[81] وارتفاع الأسعار بشكل كبير عجز معه الناس عن تأمين قوت يومهم[82] فأمر الخليفة المستَرشد با أن يتعامل الناس بالدراهم، عشرة بدينار والقراضة اثنا عشر بدينار[83].

كما انحل أمن البلاد وتزايد نشاط العيارين، ففي سنة 512هـ/1119م عظم أمرهم بالجانب الغربي من بغداد ولم يستطع صاحب الشحنة القضاء عليهم، فنهبوا محال الناس واستولوا على أموالهم[84] واشتد تمردهم وأخذوا يقطعون الطرق ويتعرضون للأهالي واستولوا على زوارق قادمة من الموصل إلى بغداد سنة 514هـ/1121م، وفتكوا بأهل السواد عدة مرات، ودخلوا بيوتهم وأخذوا ما فيها[85]، وقد أدت هذه الأوضاع بمجملها إلى تردي أوضاع الناس المعيشية، وهجر سكان الأرياف أراضيهم، وتراجع الإنتاج الزراعي، وارتفاع معدلات البطالة[86].

كان الخليفة المستَرشد با ، مطلعا على ما آلت إليه علاقة الخلفاء مع سلاطين السلاجقة وتعديهم على الخلفاء، قبل توليه الخلافة، وكان يدرك أن هذه الأوضاع المتردية ناجمة عن سياسة السلاجقة في العراق، وسعيهم لتحقيق مصالحهم بغض النظر عن أحوال السكان، وعبر عن رفضه لهذا الحال حين قال: "فوضنا أمورنا إلى آل سلجوق، فبغوا علينا، فطال عليهم الأمد، فقست قلوبهم، وكثير منهم فاسقون"[87]، كما أن الخليفة المستَرشد با ولما عرف عنه من صفات الزهد والشجاعة والتدين والإقدام وعلو الهمة[88]، غير راضٍ بهذا الحال، بل كان يسعى إلى تقليص نفوذ السلاجقة لكنه كان يدرك أن تحقيق هذا الهدف يحتاج إلى فترة من الاستعداد والتهيؤ لمواجهة السلاجقة، وفي البداية سار المستَرشد با على نهج من سبقه من الخلفاء، بهدف استرضائهم والتودد إليهم، فكان يعلن تأييده للمنتصر منهم في حال حدوث نزاع بينهم. فعندما بويع بالخلافة سنة 512هـ/1119م، كان أبوه قبله يخطب للسلطان محمود بن محمد، فاستمر في الخطبة للسلطان محمود، وفي سنة 513هـ/1120م حدث نزاع بين السلطان محمود والسلطان سنجر، وانتصر سنجر فقطع خطبة محمود، واكتفى بالخطبة لسنجر وحده[89]، ثم عفا السلطان سنجر عن ابن أخيه محمود، وأعاده إلى ملكه، فخطب الخليفة المستَرشد با لهما في آن واحد[90]. وفي سنة 514هـ/1121م، أعلن مسعود بن محمد تمرده على أخيه السلطان محمود، فهزمه محمود وقضى على تمرده، ثم عفا عنه وقدما معا إلى بغداد فاستقبلهما كبار موظفي الخليفة، ومثلا بين يديه وقبّلا الأرض فخلع الخليفة على السلطان محمود ووعظه وتلا عليه قوله تعالى: "فَمن يعملْ مثْقَالَ ذَرة خَيراً يره ومن يعملْ مثْقَالَ ذَرة شَراً يره"[91]، وأمره بالإحسان إلى الرعية، فقال السلطان محمود: "وفقني ا لقبول أوامر مولانا أمير المؤمنين وارتسامها، فالسعادات معها... وسلم الخليفة إلى الوزيرين سيفين، وأمرهما بتقليد السلطان بهما، فلما فعلا قال: أقمع بهما الكفار والملحدين، وعقد له بيده لوائين[92]، واستمر الخليفة يخطب للسلطانيين سنجر ومحمود حتى وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م[93].

لم يتدخل الخليفة المستَرشد با في نزاعات السلاجقة، وأظهر حياده، واعتمد على نوابهم في حماية بغداد، - فعندما حدث نزاع في سنة 512هـ/1119م، بين مسعود وأتابكه البرسقي من جهة ودبيس ومنكبرس متولي شحنة بغداد من جهة أخرى، فنهبوا السواد نهباً فاحشاً، واستباحوا النساء- لم يستطع الخليفة أن يفعل شيئا، وأرسل إليهما منكراً عليهما ما قاما به ويأمرهما بحقن الدماء وترك الفساد[94].

كما لم تذكر المصادر أن المستَرشد با قام بفعل شيء إزاء ما فعله منكبرس ببغداد في فترة توليه شحنتها (512-

513هـ/1119-1120م) من ظلم وتعد على الناس ومصادرة أموالهم، واكتفى بالشكوى إلى السلطان محمود من أفعال صاحب الشحنة[95]، واستفحل خطر دبيس في 514هـ/1121م، إذ استغل صراعات السلاجقة ونهب البلاد وفعل الأفاعيل، فاكتفى الخليفة بالطلب من السلطان محمود كف دبيس عن فعله[96]، ما جعل دبيس يستمر في أفعاله فنهب بغداد وسوادها وقتل وسفك دماء أناس كثر، ولم يستطع الخليفة الرد على هذه الأفعال، فبعث إلى دبيس ينكر عليه ما يقوم به ويأمره بالكف عنها، ولم يستمع دبيس إلى أوامر السلطان محمود له بالكف عن أفعاله، وسار دبيس بنفسه إلى بغداد ونزل بالقرب من دار الخلافة فاضطر السلطان محمود إلى أن يأمر متولي شحنة بغداد بمحاربته فهرب دبيس إلى الحلة ومنها إلى واسط[97]، وفي سنة 516هـ/1123م تجدد النزاع بين البرسقي ودبيس بعد أن تولى البرسقي شحنة بغداد وكلفه السلطان محمود بمحاربة دبيس، والتقى الطرفان في معركة لم يشترك فيها الخليفة، انتصر فيها دبيس وفرض شروطه على البرسقي والخليفة[98].

وفي مجال الوزراء وتعيينهم سار الخليفة المسترشد بالله في هذه الفترة (512-516هـ/1119-1123م) على نهج الخلفاء السابقين، إذ امتثل لإرادتهم في تعيين من يرونه مناسباً، وعزل غيره، فبعد بيعته أقر الوزير أبا شجاع محمد بن الحسين (ت561هـ/ 1166م) وذلك نزولاً عند رغبة أبيه وزير السلطان محمود، لكنه عاد وعزله سنة 513هـ/1120م إثر مقتل والده[99]، وفي سنة 516هـ/ 1123م، عزل وزيره ابن صدقة وولّى مكانه الوزير نظام الملك أحمد بن نظام الملك الطوسي، بتأثير من أخيه شمس الدين عثمان بن نظام الملك الطوسي وزير السلطان محمود[100]، ثم عزله بعد عدة شهور عندما طلب منه ذلك السلطان محمود[101].

ويبدو أن الخليفة المسترشد بالله كان مضطراً إلى هذه السياسة في هذه الفترة من خلافته لإدراكه أنه لا يستطيع مواجهة السلاجقة، فعمل على إرضائهم مع الاستعداد لمواجهتهم؛ فبعد بيعته سنة512هـ/1119م سعى الخليفة إلى تثبيت أركان دولته فعمد إلى القضاء على حركة أخيه أبي الحسن بالاعتماد على جيش دبيس بن صدقة، كما خلص إدارته من غير الموالين له، فعزل صاحب المخزن يوسف بن أحمد الخرزي (ت513هـ/1120م) وقبض على القضاة علي بن كمونة وابن غليلان و الكاتب علي بن أفلح البغدادي وجماعة معهم بتهمة التعاون مع حركة أخيه، ودبيس بن صدقة[102].

عمل المسترشد بالله على التقرب من العامة للاعتماد عليهم في ما يخطط له من نزاعات مع السلاجقة، فأظهر تمسكه بأهداب الدين الإسلامي وأراق الخمور في سوق السلطان ونقض بيوت أصحابها[103]، وأسقط من الإقطاع المختص به كل جور، وأمر أن لا يؤخذ إلا ما جرت به العادة القديمة، وأسقط ما استحدثه السلاطين ونوابهم من ضرائب فأسقط ضمان غزل الذهب، محاولاً التخفيف عن الصناع والتجار ما يلقونه من أذى العمال وخسارة أموالهم[104]. كما ضبط الخليفة أمور دار الضرب إثر ما حدث فيها من مخالفات، إذ اشتكى عمالها أنهم يخسرون، وحين عرض الأمر على صاحب المخزن ابن طلحة، منعهم من الشكوى، فسمع الخليفة بالخبر، فأمر بإجراء تحقيق في الأمر، فأظهرت التحقيقات أن العمال يربحون، وأن صاحب المخزن يعاونهم في ذلك، مقابل حصوله على سبعين ديناراً شهرياً، فأمر الخليفة باعتماد الوزير الزينبي مسؤولاً عن دار الضرب، فأثر في إيرادات صاحب المخزن[105] واستطاع بعدها عمال الضرب التأثير على الوزير ابن طراد الذي حقق الأرباح الكبيرة، بدليل أنه عزل وقبض عليه، كما قبض معه على كاتب الزمام ابن الوزان، فكانت ثروة الوزير كبيرة، "عثر عنده على سبعين قطعةً فضة سوى المراكب، ونيف وثلاثين قطعة فضة ومعضدة وقيمتها مائة ألف دينار، واستمر نقل ما عنده من أثاث ثلاثة أيام"[106]، كما استغل الخليفة انشغال السلاجقة في نزاعاتهم وتهديدات دبيس لبغداد وغاراته عليه لمرات عديدة، لتأسيس جيش خاص به خصص له الأرزاق والسلاح وأعاد العمل بديوان العرض الخاص بالجند، ونما هذا الجيش بسرعة حتى بلغ تعداده سنة 517هـ/1124م، اثني عشر ألف فارس[107].

كان لهذه الإجراءات التي قام بها المسترشد بالله أثرها الواضح في نفوس الناس، فازداد ولاؤهم له فأصبحوا يحبونه لرحمته بهم، والتفوا حوله في حروبه مع دبيس والسلاجقة طوال فترة خلافته (512-529هـ/ 1119-1135م) "وكان محبباً فيهم، لما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم"[108] كما حاز المسترشد على ثقة السلاطين السلاجقة رغم تخوفهم منه، فأقطعه السلطان سنجر سنة 513هـ/1120م عشرة آلاف دينار، كما نال الوزير المبلغ نفسه[109].

2- المواجهة الأولى (517-525هـ/1124-1131م)

كان الخليفة المسترشد يدرك أن السلاطين السلاجقة لم يهتموا بحماية بغداد بالقدر الكافي، وأنهم كانوا قادرين على إزالة ما يشكله دبيس بن صدقة من تهديد لكنهم أرادوا إبقاءه

أداة ضغط على الخليفة لتحقيق أهدافهم والحد من طموحاته، وهذا ما ذكره ابن الجوزي حين قال" فإن دبيس كان يعادي المسترشد با ، ويكره خلافته، ولم يكن يعلم أن السلاطين إنما يبقون عليه ليجعلوه عدة لمقارعة المسترشد ..."[110]، فبادر الخليفة المسترشد با إلى الاعتماد على جيشه الخاص في مواجهة تهديدات دبيس، ومحاولة التقليص من النفوذ السلجوقي في العراق[111]، فبعد هزيمة شحنة بغداد من قبل دبيس سنة 516هـ/ 1123م، وفرض شروطه على الخليفة ومتولي الشحنة[112]، أظهر دبيس ولاءه للخليفة وطلب الصفح والعفو فعفا عنه[113]، لكنه لم يلتزم بما أُتفق عليه مع الخليفة واستمر في اعتداءاته على بغداد وما جاورها فنهب واسط وأخذ كل ما للخليفة فيها ونهب منطقة نهر مالك ببغداد وأجلى الناس عنها[114]، فاستعد الخليفة لمواجهة دبيس وجمع عساكره[115]، واستغل مركزه الديني والروحي في استنهاض أهل بغداد[116]، فأصدر الفقهاء فتوى شرعية تبيح قتال دبيس" لأنه يسب الصحابة، ويترك الصلوات، وليس في بلاده مؤذن، ولا جمعة، وأنه يشرب الخمر في نهار رمضان، وأنه يسفك الدماء"[117]، فالتف حوله العامة، وخرج الخليفة يقود جيشه بنفسه[118]، في موكبٍ عظيمٍ يضم كبار رجال دولته وعليه بردة الرسول (صلى ا عليه وسلم)[119]، واشتبك مع دبيس في معركة كبيرة قاتل فيها الخليفة بنفسه، وانتصر فيها، وقتل وأسر عدداً كبيراً من عسكر دبيس[120].

اكتسب هذا الانتصار أهمية خاصة في هذه الفترة من حياة الخلافة العباسية في ظل السيطرة السلجوقية، وحقق الخليفة بعض المكاسب منها:

1- مثّل هذا الانتصار نقطة تحول في تاريخ خلفاء هذه الفترة، فلأول مرة في ظل السيطرة السلجوقية يقف الخليفة بوجه معارضيه ويحاربهم بنفسه في معركة كبيرة، فبدت الخلافة قادرةً على أن ترد المعتدين عنها[121].
2- التأكيد على قوة الخليفة الروحية ودوره في إثارة العامة للمشاركة في الدفاع عن بغداد والوقوف في وجه المعتدي[122].
3- مواجهة التهديد الذي يمثله دبيس والحد من قدرته على الاستمرار في تنفيذ مخططاته في الاعتداء على بغداد[123].
4- شكل هذا الانتصار نقطة تحول في سير العلاقات بين الخليفة والسلاطين السلاجقة، إذ أكد قدرته على التأثير في مجريات الأحداث في العراق وجوارها، وبدأ السلاجقة يتخوفون من تأثير الخليفة على نفوذهم في العراق[124].

عاد الخليفة بعد انتصاره إلى بغداد، وهو يدرك ما سيترتب عليه من تحول في علاقته مع السلاطين السلاجقة، فأخذ يعد عاصمته لمواجهة هذه النتائج؛ فعمل على تحصينها عن طريق إحاطتها بسور يساعد في حمايتها. وبدايةً جمعت الأموال اللازمة لهذا السور من العامة والتجار لكن هؤلاء ضجوا من ذلك، فأعاد الخليفة أموال الناس إليهم، واستمر في بنائه من ماله الخاص[125]، مما دفع الناس إلى الالتفاف حوله والمشاركة في بناء السور؛ إذ كان كل أهل محلة يعملون يوماً حتى تم بناؤه[126]، وأدى إتمام هذا السور إلى زيادة تماسك أهل بغداد، ووحدتهم ومكنّهم من مواجهة الأخطار وزاد ولائهم للخليفة" ... وحق ا يا مولانا أن الذي تتحدث به الناس فيما بينهم من أن أحدهم كان يعود من معيشته ويأوي إلى منزله، فيدعو بالنصر والحفظ للدولة"[127]. وتنبه السلاجقة لما كان يحدث في بغداد، وأدركوا أن الخليفة المسترشد با بات يشكل خطراً على نفوذهم في العراق، وأنه يسعى للاستقلال بالعراق.

كان الملك طغرل بن محمد حاكم ساوة وآرة وزنجار أول المبادرين من السلاجقة لمحاربة الخليفة إذ إنه كان يرغب في التمرد على حكم أخيه السلطان محمود منذ عام 513هـ/ 1120م[128]، لكنه لم يتمكن من تحقيق هدفه بسبب ضعفه في مواجهة قوة أخيه محمود، وفي سنة 518هـ/ 1125م أتيحت له إمكانية تحقيق هدفه بالتعاون مع دبيس الذي فر إليه بعد هزيمته من الخليفة سنة 517هـ/1125م وحرضه على احتلال العراق، وإجبار الخليفة على أن يخطب له بدلاً من السلطان محمود، فاتفقت مصالح الاثنين؛ فطغرل يسعى إلى الإطاحة بحكم أخيه محمود، ودبيس يسعى إلى الثأر من الخليفة والعودة إلى إمارته في الحلة[129].

وعلم الخليفة بنوايا دبيس وطغرل في مهاجمة بغداد؛ فأخذ يستعد لمواجهة هذا التحالف فمن الناحية السياسية عمل الخليفة على تحسين علاقاته مع كبير السلاجقة السلطان سنجر، فسعى إلى الزواج من ابنته، وبعث قائد جيشه الأمير نظر وكاتب الإنشاء ابن الأنباري إلى خراسان لخطبتها إليه، وتم الزواج في سنة 518هـ/ 1125م، وكان المتولي للعقد القاضي أبو سعيد الهروي[130]، ومن الناحية العسكرية لم يبد الخليفة أية علامات للتنازل أو المساومة، بل أمر وزيره ابن صدقة بالتأهب لمحاربتهم وجمع الجيوش، واستنجاد الأجناد لمواجهة تحالف دبيس وطغرل وأمضى الخليفة سنة كاملة يعد جيشه ويتأهب لمواجهتهما،[131] وحرض العامة على الاستعداد لمواجهة الخطر الذي يهدد بغداد ووزع السلاح بينهم[132].

أما الدولة السلجوقية ممثلة بالسلطانين سنجر ومحمود، فلم تذكر المصادر أي دور لهما في وقف هذا الهجوم، لا بل يبدو أن السلطان سنجر سمح لدبيس وطغرل بالقيام به، إذ إنهما لجأ إليه بعد هزيمتهما من قبل الخليفة واستجاب لتحريضهما ضد الخليفة[133].

بعد أن أكمل الخليفة استعداداته سار على رأس جيشه والذي قدر عدده باثني عشر ألف فارس، بالإضافة إلى من شاركه من عامة بغداد، فخرج من باب النصر يرتدي السواد وعليه البردة وبيده القضيب، يرافقه كبار رجال دولته وقسم جيشه إلى فرقتين قاد الأولى بنفسه، وأوكل للوزير ابن صدقة قيادة الثانية، واتخذ من منطقة الدسكرة على مشارف بغداد معسكراً لقواته[134]، فيما نزل طغرل في منطقة جلولاء، ونزل دبيس في منطقة الهارونية[135].

تخوف طغرل ودبيس من مواجهة الخليفة بعدما سمعا عن قوته، ووضعا خطة جديدة تقوم على أن يلتفا ويصلا إلى بغداد فينهباها، وقام دبيس بتنفيذ مهمته من الخطة، في ما أعاق المرض والمطر طغرل عن تنفيذ ما تعهد به، واقتربت جنود دبيس من بغداد، فخشيهم الناس وأخذوا أسلحتهم، وخشي الخليفة على بغداد بعدما سمع بقرب جنود دبيس منها، فأسرع وأدرك دبيس من غير أن يعلم به، وقبض عليه ثم عفا عنه، فهرب واتصل بطغرل الذي بقي في معسكره بعيداً عن بغداد، وسارا إلى السلطان سنجر وحرضاه على الخليفة والسلطان محمود[136]، كان رأي الوزير ابن صدقة قتل دبيس لكن الخليفة عفا عنه وأخلى سبيله، ويبدو أن الخليفة أخطأ في ذلك إذ بقي يشكل خطراً على الخلافة حتى وفاته سنة 529هـ/1135م.

أثار انتصار الخليفة مخاوف السلطانين سنجر ومحمود، فمع أن سنجر أظهر ولاءه وتبعيته للخليفة فسجن دبيس تقرباً له، إلا أنه بدا يفكر في الخطر الذي يشكله الخليفة وما يتمتع به من قوة روحية وعسكرية، فعزم على مهاجمة بغداد وتوعد الخليفة، ووزيره، فكتب إليه الوزير ابن صدقة مهدداً إياه قائلاً:" وا لئن تحركت لأقطعن جميع ما وراءك عنك، وأقطعك عنه، ولئن سرت فرسخاً لأسيرن إليك فرسخين"[137]، ولكنه تراجع عن تنفيذ مخططه في مهاجمة بغداد وقد يكون ذلك عائداً لانشغاله في حروبه في بلاد ما وراء النهر، وخشيته من قوة الخليفة خاصة بعدما سمعه من تهديدات الوزير ابن صدقة.

وكان الخليفة يعرف ما يكنه السلطان سنجر له من عداء وأنه يسعى لتقليص نفوذه، والحد من طموحاته في الاستقلال بالعراق، فسعى إلى عقد تحالف مع السلطان محمود ضده، وتبادل الخليفة الرسائل مع السلطان محمود، وشكر محمود الخليفة على موقفه في وجه طغرل ودبيس: "قد علمت ما فعلت لأجلي، وأنا خادمك وصائر إليك" واتفق الخليفة ومحمود على التحالف في وجه سنجر وأن يشتركا في قتاله ويكون محمود في السلطنة وحده[138].

خشي السلطان سنجر من هذا التحالف، وأدرك أن الخليفة يسعى إلى التخلص من السيطرة السلجوقية، وأن تحالفه مع محمود مجرد وسيلة لتحقيق أهدافه، فأرسل إلى ابن أخيه محمود وحذره من التحالف مع الخليفة، وأن الخليفة سيغدر به بعدما يتخلص من سنجر، فقال له: "أنت يميني والخليفة قد عزم على أن يمكر بي وبك، فإذا اتفقتما علي، فرغ مني، وعاد إليك، فلا تلتفت إليه، وأنت تعلم أنه ليس لي ولد ذكر، وأنك ضربت معي مصافاً، وظفرتُ بك، فلم أسئ إليك، وقتلت من كان سبباً لقتالنا، وأعدتك إلى السلطنة، وجعلتك ولي عهدي، وزوجتك ابنتي، فلما مضت إلى ا تعالى زوجتك الأخرى، ورأيي فيك رأي الوالد، فا ا أن تعول على ما قال لك، ويجب بعد هذا أن تمضي إلى بغداد، ومعك العساكر فتقبض على وزير الخليفة ابن صدقة، وتقتل الأكراد الذين قد دونهم، وتأخذ النزل الذي قد عمله وجميع آلة السفر، وتقول: أنا سيفك وخادمك وأنت تعود إلى دارك على ما جرت به عادة آبائك، وأنا لا أحوجك إلى تعسف، فإن فعل وإلاّ أخذته بالشدة، وإلاّ لم يبق لك ولا لي معه حكم"[139].

وتزامنت تحذيرات سنجر مع شكوى الأمير برنقش الزكوي متولي شحنة بغداد من الخليفة، الذي جرى بينه وبين موظفي الخليفة خلافات سيطر على أثرها الخليفة على أملاك السلاجقة في بغداد، فخشي الزكوي على نفسه، وغادر بغداد واتجه إلى السلطان محمود وحذره من الخليفة ونواياه، وأنه يجمع العسكر ويعد للاستقلال بالعراق وإنهاء السيطرة السلجوقية، وأنه قاد العساكر وخاض الحروب وزادت ثقته بنفسه، وإذا لم تعالج هذا بقصد العراق ودخول بغداد ازداد قوة وجمعاً، وحينئذ يتعذر عليك ما هو الآن بيده[140]، وأن الخليفة كون جيشاً خاصاً تألف من عناصر متعددة مثل العرب والأكراد، كما استطاع الخليفة استقطاب الأمراء المناوئين للسلاجقة، فزادت قوته بهم[141].

كان لتحذيرات السلطان سنجر وشكوى متولي شحنة بغداد أثرها الواضح في نفس السلطان محمود فأخذ يتخوف من نوايا الخليفة[142]، وعزم على التوجه إلى بغداد والسيطرة عليها، والقضاء على قوة الخليفة[143].

أما الخليفة المسترشد با فعمل في البداية على محاولة ثني السلطان محمود عن السير إلى العراق وأرسل إليه كاتب

الإنشاء ابن الأنباري يقول له: "تقنع أن تتأخر في هذه السنة عن بغداد لقلة الميرة والناس في عقب الغلاء"[144]، وتعذر الخليفة بأن العراق لا يكفي لعسكر السلطان، وخاصة بعدما خربه دبيس، كما أن الخليفة يمتلك العسكر الذي يحتاج إلى نفقات كبيرة لا يمكن للعراق أن يكفها إذا ما دخل إليه عسكر محمود[145]، لكن ذلك لم يثنِ السلطان محمود عن عزمه على التوجه إلى بغداد، فلجأ الخليفة إلى الاستعداد لملاقاته والدفاع عن عاصمته، فسعى إلى استقطاب العامة حوله مستغلاً مكانته الدينية وحب الناس له[146]. وفي الجانب العسكري شرع في حفر الخنادق وتوزيع الأسلحة على الناس وجمع العساكر وأمر الناس بإخلاء الجانب الشرقي من بغداد، والعبور إلى الجانب الغربي، وأغلق أبواب السور، ولم يبقَ منها سوى باب النوبة[147]، وحاول ضم بعض المناطق المجاورة، وفتح جبهات جديدة ضد السلطان محمود ونائبه في البصرة عماد الدين زنكي، فأرسل الخليفة قائده (عفيف) إلى واسط للسيطرة عليها، ومنع نواب السلطان من دخولها، فوصلها عفيف والتقى بعماد الدين زنكي، ووقع القتال بين الطرفين، فانتصر زنكي وفر (عفيف) وعاد إلى بغداد[148].

وصل السلطان محمود إلى مشارف بغداد في الرابع من ذي القعدة سنة 520هـ/1127م وفرض عليها حصاراً شديداً، ونهب جنوده بعض دور الناس، لكنه لم يستطع دخولها[149]، فحاول فرض الصلح على الخليفة ودخول بغداد، وأرسل إليه شحنة بغداد الزكوي، الذي اجتمع مع الخليفة بحضور كبار موظفي دولته فرفض الخليفة عرض السلطان محمود، والسماح له بدخول بغداد، ورد على هذا العرض بالقول:"أن أقول له يجب أن تتأخر هذه السنة عن العراق فلا تقبل، ما بيني وبينك إلا السيف" وكان الخليفة في حالة شديدة من الغضب، إذ كاد يقتل الزكوي لولا أن ذكره الوزير ابن صدقة أن هذا رسول[150].

غضب السلطان من رد الخليفة، وشدد حصاره على بغداد، وحصل بعض القتال بين الطرفين، ودخل جنود السلطان إلى دار الخلافة في الجانب الشرقي ونهبوا القصر وحجر الخليفة وذلك في الأول من محرم سنة 521هـ/ 1128م، فضج الناس واجتمعوا وثاروا ونادوا الغزاة الغزاة وجاءوا من كل ناحية، ولما رآهم الخليفة نادى بأعلى صوته: يالهاشم، يالهاشم، وأمر بالعبور إلى الجانب الشرقي، فعبر الخليفة ومعه ثلاثون ألفاً من العسكر والعامة، واشتبكوا مع جنود السلطان، وقتلوا عدداً منهم وأخرجوهم من بغداد، وأمر الخليفة بحفر الخنادق؛ فحفرت بالليل ووقع القتال لعدة أيام[151]، اضطر الخليفة بعدها لقبول الصلح حقنا لدماء أهل بغداد[152] ولانسحاب بعض الأمراء من جيش الخليفة، وانضمامهم إلى جيش محمود، كما وصل عماد الدين زنكي في جيش كبير لمساعدة السلطان[153]، واتفق الطرفان على إنهاء القتال والسماح لجنود السلطان بدخول بغداد، ومع أن المصادر لم تذكر ما اتفق عليه بشكل صريح، لكن يمكن من خلال متابعة الأحداث اللاحقة أن نستخلص أنهما قد اتفقا على:

1- أن يتعهد الخليفة بألا يعود إلى جمع الجيوش، ولا يخرج لقتال ولا يقود الجيوش[154]، ذكر ابن الجوزي في أحداث سنة 525هـ/1131م، أن السلطان محمود اضطر لمغادرة بغداد، والتوجه لقتال أخيه مسعود الذي أعلن تمرده عليه، فخشي الخليفة أن يهاجم دبيس بغداد بعد مغادرة السلطان محمود فقال للسلطان: "إنك تعلم ما بيني وبينك من العهد واليمن، وإني لا أخرج ولا أدون عسكر، وإذا خرجت عاد العدو وملك الحلة، وربما يتجدد منه ما تعلم، فقال له: متى رحلت عن العراق وجدت له حركة وخفت على نفسك وعلى المسلمين وتجدد لي أمر مع أخي فلم أقدر على المجيء، فقد نزلت عن اليمين الذي بيننا، فمهما رأيت من المصلحة فافعله"[155].
2- أن يدفع الخليفة مبلغاً من المال للسلطان، وأن يسلم ما عنده من سلاح وخيل وغير ذلك من معدات الحرب[156].
3- أن يتعهد السلطان بحماية بغداد من دبيس.
4- أن يقوم السلطان بعزل برنقش الزكوي عن شحنة بغداد[157].

مع أن الأحداث تشير إلى خضوع الخلفية لمطالب السلاجقة إلا أنها أظهرت مدى قدرة الخليفة على استنهاض العامة وتجميع الجيوش وقيادتها، وما يتمتع به من سلطات روحية جعلت أهل بغداد يلتفون حوله ويدافعون عن الخلافة بكل قوة، كما كان الخليفة قادراً على استقطاب القوى المناوئة للسلاجقة.

حقق ما أُتفق عليه الخليفة والسلطان محمود مصالح السلاجقة، وثبت نفوذهم في العراق، وحد من طموحات الخليفة في الاستقلال، ونص على ما طلبه السلطان سنجر من السلطان محمود حين أمره بالتوجه إلى بغداد سنة 519هـ/ 1126م، وحاول الخليفة توثيق علاقاته مع السلطان سنجر لما له من تأثير في مجريات الأحدث فبعث إليه النقيب ابن طراد الزينبي ومعه الخلع وطلب منه إبعاد دبيس من بلاده، فأكرم السلطان ابن طراد لكنه أبقى على دبيس بجواره[158].

خضع الخليفة للسلطنة السلجوقية في الفترة المتبقية من حياة السلطان محمود (522-525هـ/1129-1131م)، فكان

يخطب للسلطان سنجر والسلطان محمود[159]، وقام السلطان محمود بحماية بغداد من دبيس، ففي سنة 522هـ/1129م، وصلت أخبار تفيد بنية دبيس مهاجمة بغداد، ففزع الخليفة وأهل بغداد وكتب الخليفة إلى السلطان محمود " إنك إن لم تمنعه من المجيء، وإلا احتجنا أن نخرج إليه، وينتقض العهد الذي بيننا" فبادر السلطان إلى المجيء إلى بغداد ومنع دبيس من الاعتداء عليها[160].

3- المواجهة الثانية والاستقلال (525-529هـ/1131-1135م)

سعى الخليفة المسترشد بالله في هذه الفترة إلى الاستقلال بالعراق مستغلا إنشغال السلاطين السلاجقة في نزاعاتهم حول السلطة[161] بعد وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/ 1131م، وحروب سنجر مع القبائل القرخطائية في بلاد ما وراء النهر[162].

فقبيل وفاة السلطان محمود سنة 525هـ/1131م، استطاع الخليفة التخلص مما اُتفق عليه مع محمود سنة 521هـ/1130م مستغلاً عدم مقدرة السلطان على الوفاء بما تعهد به من حماية بغداد من دبيس بسبب انشغاله في القضاء على تمرد أخيه مسعود، وترك السلطان محمود للخليفة حرية تكوين الجيوش لحماية بغداد في حال عدم مقدرته على ذلك، فلم يستطع محمود تنفيذ واجبه تجاه بغداد ولذلك اعتبر الخليفة ما اتفق عليه منتهيا"[163].

عاد الخليفة إلى تنظيم الجند وتدوينهم في ديوان العرض، واستولى بعد وفاة السلطان محمود على جميع ممتلكات السلاجقة في بغداد، وسير قائده (إقبال) إلى الحلة وأمره على بابل وضمن إليه عشرة آلاف مقاتل من العرب والترك والأكراد[164]، واستقطب الأمراء المناوئين للسلاجقة في الشام والعراق والجزيرة الفراتية، وجاءته العساكر من الشام وديار ربيعة وانضم إليه الأعراب والأكراد ووقعت الهيبة في قلوب السلاجقة"[165].

تجددت صراعات السلاطين السلاجقة بعد وفاة السلطان محمود، إذ أوصى السلطان محمود قبل وفاته بالحكم لابنه داود، وأقيمت له الخطبة في بلاد الجبل وأذربيجان، يعاونه أتابكه آقسنقر الأحمديلي ووزيره أبو القاسم الأنساباذي[166]، وبعث يطلب الخطبة من الخليفة، فرفض الخليفة لعلمه بمنافسة أعمامه أبناء السلطان محمد (مسعود، طغرل، سلجوقشاة) له[167]، وكما رفض المسترشد بالله طلب عماد الدين زنكي الخطبة للطفل ألب أرسلان بن محمود والذي يتولى زنكي أتابكته[168]، ورفض الخليفة كذلك طلب مسعود بالخطبة له[169]، وأخرج الخليفة نفسه من دائرة الصراع حول السلطة، وأرجع أمر تحديد سلطان سلاجقة العراق إلى السلطان سنجر، فهو المتحكم بالخطبة ولا يخطب لأحد من دون علمه، باعتباره "عم القوم وكبيرهم"[170]، ويبدو أن الخليفة أقدم على هذا الفعل مدفوعاً بالعوامل التالية:

1- أن الخليفة يدرك أن قوة السلاجقة تكمن في سنجر الذي يمتلك خراسان ويسيطر على مناطق واسعة، فأراد الخليفة بذلك توجيه أنظار المتنافسين حول السلطة إلى هذه القوة، سعياً منه لإثارة نقمتهم عليها وإحداث نزاعات معها[171].
2- أن الخليفة لا يمكنه الركون لأي من المتنافسين لتكافئهم في القوة وعدم ثقته بأي منهم لفرض سيطرته التامة على الآخرين[172].
3- أراد الخليفة إبعاد السلاجقة عن العراق وبغداد بشكل خاص خشية منه على أهلها وتجنيبها عواقب صراعاتهم[173].

كسب الخليفة بفعله هذا رضا السلطان سنجر وضمن تأييده له[174]، وأصبح يقوم بدور محوري في صراع السلاجقة، وعمل على تأجيج الصراع بينهم فبعد أن رفض الخطبة لأي من السلاطين المتنافسين عاد في سنة 526هـ/ 1132م وخطب لداود بن محمود، مما أثار غضب مسعود بن محمد الذي طلب العون من صاحب الموصل عماد الدين زنكي، فوعده بالمساعدة واشتبك مسعود مع ابن أخيه داود وانتصر عليه[175]، وزاد عدد الساعين للسلطة؛ فطلبها بالإضافة إلى داود ومسعود سلجوقشاه بن محمد بتحريض من أتابكه قراجة الساقي صاحب فارس وخوستان، وسار سلجوقشاه إلى بغداد فأكرمه الخليفة، وتبعه أخوه مسعود، ووقع القتال بين جند زنكي المتحالف مع مسعود وجند سلجوقشاه فهزم زنكي[176].

أما السلطان سنجر فأراد القضاء على صراعات داود ومسعود وسلجوقشاه وتنصيب طغرل بن محمد المقيم عنده منذ هزيمته من الخليفة سنة 519هـ/1127م[177] وسار إلى بغداد على رأس جيش كثيف ومعه طغرل، فحاول الخليفة تكوين جبهة مضادة لهذا التحالف، وأجرى مفاوضات مطولة بين مسعود وداود وسلجوقشاة، أفضت إلى عقد تحالف بينهم، تعاهدوا فيه على الوقوف في وجه السلطان سنجر وطغرل، وعلى أن يكون العراق للخليفة وحده، وتكون السلطة لمسعود ويكون سلجوقشاة ولياً للعهد وتعاهدوا على محاربة سنجر[178]، بهذا يكون الخليفة قد ضمن تأييد هؤلاء المتنافسين لاستقلاله بالعراق ووقوفهم إلى جانبه في وجه سنجر،

ومحاولاته الحد من طموحات الخليفة.

علم سنجر بهذا التحالف فخشي على نفسه، وأرسل إلى الخليفة مظهراً طاعته له وقال "أنا العبد ما أردت مني فعلت" فلم يقبل الخليفة منه ذلك ورفض الخطبة له[179] كما حاول سنجر تفكيك هذا التحالف عن طريق فتح جبهة جديدة ضد الخليفة فبعث دبيس، وأقطعه الحلة، وولى زنكي شحنة بغداد، وأمرهما بالسير لمحاربة الخليفة والسيطرة على بغداد[180].

سار مسعود وسلجوقشاه وقراجة لملاقاة السلطان سنجر وطغرل، والتقى الطرفان بالقرب من الدينور، وكان سنجر يتفوق عليهم عدداً، واستطاع الانتصار عليهم وقتل قراجة ونصب سنجر طغرل على سلاجقة العراق وعفى عن مسعود وسلجوقشاه واكرمهما وأعادهما إلى إقطاعاتهم، وعاد هو إلى خراسان[181].

أما الخليفة فكان ينوي مرافقة مسعود وسلجوقشاة، لكنه سمع بخبر توجه زنكي ودبيس إلى بغداد، فعاد إلى بغداد وعبر إلى جانبها الغربي، وحشد العامة حوله بإظهاره تمسكه بأهداب الدين الإسلامي "خرج كل من في البلد وضاع العسكر بين الخلق وأخرجوا كل ربعة ومصحف في البلد ونشروا المصاحف، وأخذوها بأيديهم مفتوحة يقرأون منها بين الصفين"[182]، واشتبك الخليفة مع دبيس وزنكي في معركة كبيرة، هزمهما فيها وقتل وأسر عدداً كبيراً من جنودهم[183]، ورفض قبول طلب السلطان سنجر بتولية زنكي شحنة لبغداد، واشترط على زنكي طرد دبيس من الموصل إذا أراد مصالحة الخليفة وهدده بالزحف إلى الموصل[184].

سعى الخليفة بعد هذه الأحداث إلى تثبيت استقلاله، فمع أنه أعاد الخطبة للسلطان سنجر بعد انتصاره على مسعود وسلجوقشاه[185] إلا أنه رفض الخطبة للسلطان طغرل، واشترط عليه القدوم إلى بغداد وإظهار طاعته؛ حتى يحظى بالخلع والخطبة، فلم يقبل طغرل بذلك ولم يخطب له ببغداد طوال فترة حكمه (526-529هـ/1132-1135م)[186] واستولى الخليفة على أملاك السلاجقة في العراق، وطالب موظفيهم في بغداد بما فيهم الشحنة، أن يكونوا تابعين له ويأتمرون بأمره، إذ طلب الخليفة من الأمير بهروز شحنة بغداد مرافقته في حربه ضد صاحب الموصل عمادالدين زنكي سنة 527هـ/1133م فاعتذر بهروز بشيخوخته، وعدم مقدرته على الحرب، فطلب منه الخليفة تسليم القلعة والأموال التي معه والدخول في الطاعة، فأجاب إلى طاعة ورفض تسليم القلعة والأموال[187]، فأرسل الخليفة العسكر وحاصر القلعة ووقع القتال بين الطرفين وأجبر بهروز على تقديم الأموال، و طرده الخليفة وسيطر على دار السلطنة[188].

لم يكتف الخليفة بالسيطرة على بغداد بل بعث ولاته إلى المدن العراقية الأخرى، فكان قد سير قائده (إقبال) إلى الحلة منذ سنة 526هـ/ 1132م واستولى عليها وتصدى لدبيس حين أراد مهاجمتها وهزمه، وسار في أثره وهزمه مرة أخرى بالقرب من واسط[189] وفي سنة 528هـ/1134م، سير الخليفة قائده بهروز إلى تكريت فحاصرها وصالح أهلها على مال يدفعونه للمسترشد[190].

حاول الخليفة في سنة 527هـ/ 1133م كسب عماد الدين زنكي صاحب الموصل إلى جانبه في صراعه مع السلاجقة، ووضع حد لاتخاذ الموصل ملجأً لأعداء الخلافة، فأرسل إليه الشيخ بهاء الدين أبا الفتح الإسفرايني الواعظ، ولكن مهمته لم تنجح وقبض عليه زنكي وأهانه وسجنه[191] فلم يرض الخليفة بهذا، وأخذ يفكر جدياً في ضم الموصل ومعاقبة زنكي على أفعاله، فخرج على رأس جيش بلغ تعداده اثنى عشر ألف مقاتل[192] وفي طريقه إليه أخضع المسترشد بالله كل المناطق التي مر بها كالرملة وتكريت والمزرقة، لتمتد دولته من الموصل شمالاً إلى البصرة جنوباً، وفرض حصاراً شديداً على الموصل، اضطر لرفعه بعد ثمانين يوماً أثر سماعه أخباراً بتوجه مسعود إلى بغداد ونيته في السيطرة عليها[193].

ومع أن الخليفة لم يحقق هدفه في ضم الموصل إلا أن حملته جعلته موقع احترام من السلاطين والأمراء وأخذوا يتسابقون إلى توثيق صلاتهم به[194]، وزاد ثقته بجيشه وقوته؛ فاستعرضه في عيد الفطر سنة 528هـ/ 1134م[195] كما سعى زنكي إلى استرضاء الخليفة، ومصالحته فأرسل إليه في سنة 528هـ/ 1134م أحد قضاته حاملاً التحف والهدايا طالبا منه العفو، وعرض عليه الصلح، فوافق الخليفة شريطة أن يقدم زنكي ابنه (غازي) رهينة ليقيم عند الخليفة في بغداد ليتيقن الخليفة من صدق نواياه، وقبِلَ زنكي ذلك فتم الصلح بين الطرفين[196].

استمر الخليفة المسترشد بالله في هذه الفترة في العمل على تأجيج الصراعات بين السلاطين السلاجقة، فبعد انتصار السلطان طغرل على أخويه، وتنصيبه سلطاناً من قبل السلطان سنجر سنة 526هـ/1132م[197] تمرد عليه ابن أخيه داود بن محمود وجمع العساكر بأذربيجان، وبلاد كنجة وسار لحرب طغرل فالتقيا بالقرب من همذان، لكن جنود داود تفرقوا عنه، وهرب أتابكه آقسنقر الأحمديلي، فاتجه داود إلى بغداد فأكرمه الخليفة وأنزله بدار السلطان[198]، وعمل على استقطاب مسعود بن محمد والذي جاء إلى بغداد سنة 526هـ/ 1132م، وأجرى الخليفة مفاوضات بين داود ومسعود أفضت إلى تحالفهما مع

الخليفة ضد السلطان طغرل،[199] "نزل مسعود بدار السلطان... وخاطب في الخطبة فأجيب إلى ذلك، وخطب لداود بعده وخلع عليهما، ودخلا إلى الخليفة فأكرمهما، ووقع الاتفاق على مسير مسعود وداود إلى أذربيجان وأن يرسل الخليفة معهما عسكر"[200] وخاطب الخليفة مسعود قائلاً " تلقّ هذه النعمة بشكرك واتق الله في سرك وجهرك... وقلده بسيفين، وعقد له لواءين بيده... وسلم الملك داود بن محمود، وأوصاه به مشافهة، وقال له: انهض وخذ ما آتيتك بقوة وكن من الشاكرين"[201].

سار على أثر ذلك مسعود وداود إلى أذربيجان، واستطاعا هزيمة طغرل مستغلين انشغال السلطان سنجر في محاربة القبائل القرخطائية[202]، واستولى مسعود على همدان، وتبع طغرل الذي فر إلى أصفهان، ومنها إلى فارس، وانتصر عليه مسعود مرة أخرى ثم عاد مسعود واستقر في همدان[203]، لكن طغرل أعاد تجميع قواته من جديد، واستمال بعض أمراء مسعود والتقى معه بالقرب من قزوين وهزمه لقلة جنوده، فأرسل مسعود إلى الخليفة يستأذنه في القدوم إلى بغداد فأذن له وجاء معه نائبه في أصفهان وأخوه سلجوقشاة وأكرمهم الخليفة، وأعطى لسلجوقشاة عشرة آلاف دينار، وقدم لمسعود الخيام والسلاح والدواب وكثير من الأموال[204] بقي الصراع محتدماً بين مسعود وطغرل وتبادلا النصر والهزيمة حتى وفاته في أوائل سنة 529هـ/ 1135م[205].

4- الحرب مع السلطان مسعود ومقتل الخليفة (529هـ/ 1135م)

أصبح الخليفة مع نهاية سنة 528هـ/1134م يحكم دولةً تمتد من الموصل شمالاً حتى البصرة جنوباً، كما كون جيشاً قويا يأتمر بأمره أخضع به معظم مناطق العراق[206]، وهابه السلاطين ودانت له البلاد[207]، ولكن ذلك لم يكن يرضي السلاجقة، ولولا انشغالهم في حروبهم، وما كانوا ليسمحوا للخليفة القيام بما قام به، فقبيل وفاة السلطان طغرل وعلى الرغم من تحالف مسعود مع الخليفة إلا أن مسعود بدأ يفكر في الخروج على الخليفة، والقضاء على قوته الفتية، ففي بداية سنة 529هـ/ 1135م، نشب خلاف بين الخليفة ومسعود وكاد القتال أن يقع بين الطرفين لولا مغادرة مسعود لبغداد بعد سماعه نبأ وفاة أخيه السلطانً طغرل[208].

بعد ذلك استطاع مسعود السيطرة على همدان وأعلن نفسه سلطاناً واعترف السلطان سنجر له بذلك وبقي الخليفة ملتزماً له بالخطبة منذ سنة 527هـ/ 1133م[209] لكن علاقاته مع الخليفة تأزمت إثْر تواتر الأنباء بتغير مسعود وأنه جمع العساكر، وينوي قصد بغداد[210] وزاد من ذلك انضمام بعض الأمراء السلاجقة إلى جانب المستَرشد بالله وهم الجاولي شحنة بغداد وكنجه وأرغش وجماعة من السلاحية في ألفين وخمسمائة فارس وكذلك انضم إليهم البازدار وابن برسق وقزل ويرنقش، وسنقر الخامارتكين والي همدان وعبدالرحمن بن طغايرك وغيرهم وتحريضهم الخليفة على مسعود وتهوين أمره عنده[211].

بادر الخليفة إلى الاستعداد لملاقاة مسعود وقتاله، فرحب بالأمراء الخارجين على سلطته وبعث إليهم ابن الأنباري بالأمان والخلع باستثناء دبيس الذي رجع وانضم إلى مسعود[212]، وعند قدومهم اجتمع معهم فحرضوه على قتال مسعود وسهلوا عليه أمره وحاول الخليفة استقطاب العامة، وإيجاد غطاء شرعي لقتال مسعود، فاستفتى الفقهاء في أمر مسعود؛ فأفتوا بعزله وقتاله[213] وكاتب أمراء الأطراف محاولا تشجيعهم على الانضمام إليه في حربه ضد مسعود، فحصل على تأييد صاحب البصرة[214] وكاتبه أكثر أمراء الأطراف[215]، وبعث إلى عماد الدين زنكي الذي كان يحاصر دمشق وطلب إليه رفع الحصار والخطبة للصبي ألب أرسلان بن محمود وأن يأتي معه إلى العراق ليخطب له الخليفة في بغداد فرد عليه زنكي بالسمع والطاعة[216]، وقبيل مغادرته بغداد تشاور المستَرشد بالله مع كبار موظفيه؛ فأشار عليه الوزير ابن طراد، بعدم ترك بغداد، والتحصن بها وقال:" إلى أين تمضي وبمن نعتضد إلى من نلتجئ، ومقامنا ببغداد أمكن لنا، ولا يقصدنا أحد، والعراق فيه لنا الكفاية، فإن الحسين بن علي لما خرج إلى العراق جرى عليه ما جرى، ولو أقام بمكة ما اختلف عليه أحد من الناس"[217] ووافقه على هذا الرأي صاحب المخزن، وكاتب الإنشاء[218].

يرى -بعض الباحثين- أن المستَرشد بالله كان متهوراً ومتسرعاً في سيره لمحاربة السلطان مسعود وأنه كان عليه أن يتحصن في بغداد، كما أشار عليه كبار رجال دولته[219]، ولكن ذلك لا يمكن أن ينطبق على المستَرشد بالله وتجربته مع السلاجقة بخاصة وأنه كان يتحين الفرص المناسبة لتحقيق هدفه المتمثل في استقلال العراق عن نفوذ السلاجقة، ويبدو أن المستَرشد بالله اعتقد أن هذه هي فرصته المناسبة لتحقيق هدفه وذلك للأسباب التالية:

1- أن السلطان مسعود مازال حديث العهد بالسلطنة، ولم تتح له الفرصة الكافية لتثبيت أركان دولته كما أن كثيراً من الأمراء انشقوا عليه وأعلنوا انضمامهم إلى المستَرشد بالله[220].

2- أن جيش الخليفة يفوق جيش السلطان مسعود من حيث العدد إذ كان جيشُ مسعود لا يتعدى في بداية الأمر ألف وخمسمائة فارس، بينما وصل جيش الخليفة إلى سبعة آلاف مقاتلٍ(221). بالإضافة إلى القوى المناوئة للسلاجقة وأمراء الأطراف والأمراء الذين انشقوا على مسعود وانضموا إلى الخليفة، كما فعل كل من زنكي وداود بن محمود(222) الذين وعدوا الخليفة بإمداده بالجنود عند سيره لمحاربة مسعود(223).

3- أن الأمراء الذين انشقوا على مسعود قد حرضوا الخليفة عليه وسهلوا عليه أمره.

4- أن السلطان سنجر كان مشغولاً في حروبه في بلاد ما وراء النهر ولا يستطيع تقديم أي عون لمسعود(224).

بناءً على هذا سار المستَرشد با لملاقاة السلطان مسعود وهو واثق بالنصر، وخرج من بغداد في شعبان سنة 529هـ/1135م، يقود جيشه الذي زاد تعداده على سبعة آلاف فارس سوى الراجلة وعامة أهل بغداد، في حين كان جيش عدوه مسعود لا يتجاوز ألف وخمسمائة فارس(225)، ولكن جيش مسعود نما بسرعة على حساب جيش الخليفة بسبب قيامه بمكاتبة الأمراء ويستميلهم إلى جانبه فمالوا إليه" فمال الجنس إلى الجنس"(226)، والإمدادات العسكرية التي بعث بها السلطان سنجر لتقوية جيش مسعود، فوصل جيش مسعود قبيل المعركة إلى خمسة عشر ألف مقاتلٍ، ولم يبقَ مع الخليفة سوى خمسة آلاف مقاتل، وكما لم يصله مدد زنكي وداود(227)، والتقى الفريقان في العاشر من رمضان سنة 529هـ/ 1135م في منطقة بدايمرج بالقرب من همدان، ومالت ميمنة الخليفة التي كان يقودها الأمير البازدار والأمير قزل ونور الدولة شحنة همدان إلى جانب مسعود، وقاتلت ميمنة الخليفة ميسرة السلطان قتالا ضعيفاً، وحاصر عسكر السلطان الخليفة الذي بقي صامداً، فأسر هو ووزيره وابن الأنباري وصاحب المخزن وغيرهم من كبار رجال دولته(228)، وتشتت جيش الخليفة وعاد من كتبت له النجاة إلى بغداد في أسوأ حال(229)، وبعث السلطان مسعود الأمير ببكة أوبك المحمودي شحنة لبغداد وكلفه بنهبها وهدم سورها فنُهِبتْ أموال الخليفة والعامة(230).

وعندما وصل خبر أسر الخليفة إلى أهالي بغداد ضج العامة، وثاروا فكسروا المنبر ومنعوا الخطبة وخرجوا في الأسواق يحثون التراب على رؤوسهم ويبكون واقتتلوا مع أصحاب الشحنة حتى قتل ما يزيد عن مائة وخمسين رجلاً من العامة(231) ولم يقتصر الاحتجاج على أسر الخليفة في بغداد وحدها بل تعداها إلى مناطق واسعة من العالم الإسلامي كما يظهر من رسالة السلطان سنجر إلى مسعود"... ساعة وقوف الولد غياث الدين والدنيا على هذا المكتوب يدخل على أمير المؤمنين ويقبل الأرض بين يديه، ويسأله العفو والصفح، ويتنصل غاية التنصل، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية، ما لا طاقة لنا بسماع مثلها، فضلاً عن المشاهد من العواصف والبروق والزلازل دام ذلك عشرين يوماً وتشويش العساكر وانقلاب البلدان، وقد خفت على نفسي من جانب ا وظهور آياته وامتناع الناس عن الصلاة في الجوامع، ومنع الخطباء ما لا طاقة لي بحمله فا ا تتلافى أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه وتحمل الغاشية بين يديه كما جرت عادة آبائنا"(232). ومع ما في هذا النص من مبالغات واضحة وتأثير خرافي، إلا انه يظهر مدى الأثر الذي تركه اسر الخليفة.

أُنزل الخليفة بعد هزيمته وأسره في خيمة خاصة به، في حين أُخذَ كبار دولته وسجنوا بقلعة سرجهان(233)، وفرض السلطان مسعود شروطه على الخليفة كما يظهر من قوله"... يا مولانا، أليس ا تعالى كان أغناك عن هذا، وهب أنك احتويت على ملك الدنيا، أكان يمكنك المقام بكل مكان، تستولي عليه أو تقيم بمدينة الملك، وتولي عليها غلمانك الذين ربما نصحوك وربما خانوك، وقد تأدى إليك ما تم على الخلفاء قبلك من غلمانهم، ونحن كنا عبيدك وطوع أمرك، وجدنا أعاد هذه الدولة بعدما ذهبت، فما حملك على ما فعلت... ولم يتكلم الخليفة بشيء... إلا أنه قال: كان ذلك في الكتاب مسطورا"(234). نتج عن ذلك تحقيق ما كان يسعى إليه السلطانان سنجر ومسعود إذ فرضا شروطهما على الخليفة والتي تمثلت في:

1- أن لا يعود الخليفة إلى جمع العساكر(235).

2- أن لا يخرج الخليفة على رأس جيشه خارج دار الخلافة.

3- يتعهد السلطان بإعادة الخليفة سالما إلى بغداد(236).

4- أن يقدم الخليفة أربعمائة ألف دينارٍ للسلطان(237).

أرسل السلطان مسعود الأمير ببكة أوبك المحمودي وولاه شحنة بغداد، وأمره أن يتعاون مع العميد على تعطيل دار الضرب، واستحداث دار جديدة للضرب والسيطرة على دار الشحنة، والقبض على ابن طوق عامل الأمير الجاولي شحنة بغداد السابق، وأخذ ما مع ابن الحاجب من ضمان بغداد(238)، والقبض على أملاك الخليفة (239)، ونقض سور بغداد(240).

طالت مدة أسر الخليفة حتى بلغت سبعة وستين يوماً، قضاها يتنقل برفقة جيش مسعود من منطقة إلى أخرى بانتظار إعادته إلى بغداد تنفيذاً لما أُتفق عليه مع السلطان مسعود(241)، لكن ذلك لم يحدث بحجة انشغال السلطان في

القضاء على تمرد بعض الأمراء ضده وخاصة ابن أخيه داود بن محمود[242]، وخشي السلطان سنجر من إطالة مدة أسر الخليفة فبعث إلى مسعود رسالتين كانت الأولى علنية حملها أحد المتصوفة، حث فيها مسعود على الإسراع في إعادة الخليفة إلى بغداد[243]، أما الثانية فكانت سرية حملها الأمير يرنقش قرآن خوان، والتي يبدو أنها نصت على أوامره بالتخلص من الخليفة وقتله إذ رافق حاملها جماعة من الإسماعيلية النزارية الذين نفذوا قتل الخليفة في خيمته المنفردة عن المعسكر[244].

استغلت جماعة من الإسماعيلية النزارية تراوح عدد أفرادها ما بين سبعة عشر وأربعة وعشرين رجلاً انشغال العسكر بملاقاة رسل سنجر وانفراد خيمة الخليفة وخلوها من أي حماية فهجموا عليه في خيمته وقتلوه ومثلوا بجسده؛ فجدعوا أذنيه وأنفه وتركوه عارياً وقتلوا معه مرافقه ومعلمه عبدا بن سكينة، وكان ذلك يوم الأحد العاشر من ذي القعدة سنة 529هـ/1135م، بالقرب من مدينة مراغة وترك الخليفة حتى دفنه أهل مراغة[245].

أثار مقتل الخليفة المسترشد با هلعاً وغضباً واسعاً بين المسلمين في مختلف مناطق العالم الإسلامي "وشاع الخبر بذلك... واستبشع الناس هذا الفعل الشنيع والقصد الفظيع بحق خليفة الزمان وابن عم رسول ا عليه - أفضل الصلاة والسلام- وأكبروا الجرأة على ا والإقدام على هذا المنكر في الإسلام والدم الحرام وأطلقوا الألسنة بالدعاء والذم على من استحسن هذا الفعل الفظيع ودبر هذا الخطب الشنيع"[246]، ففي بغداد جزع أهلها لمقتل خليفتهم الذي أحبوه "وكثر البكاء والصراخ... وأصبح الناس حفاة، النساء منشرات الشعور يلطمن وينشدن الأشعار التي تنشد في المآتم ويقلن فيه المراثي على عادتهن؛ لأن المسترشد با كان محبباً فيهم لما فيه من الشجاعة والعدل والرفق بهم"[247]، وفي مراغة حيث قتل الخليفة خرج الناس يحثون الرماد على وجوههم وهم يستغيثون[248].

اختلفت المصادر في تحديد المسؤول عن مقتل المسترشد با ؛ فمنها من اتُّهم السلطان مسعود باتفاقه مع الإسماعيلية النزارية على قتل الخليفة، وأنه أقدم على هذا الفعل لخوفه من الخليفة الذي اعتاد جمع الجيوش وقيادتها، وأن مسعود لا يستطيع تنفيذ قتل الخليفة بشكل مباشر فلجأ إلى الإسماعيلية النزارية[249] وبرأ آخرون مسعود من دم الخليفة وحملوا مسؤولية قتله لدبيس لما بينهما من عداء مستحكمٍ[250]، وذهب آخرون إلى اتهام سنجر ومسعود باتفاقهما على مقتل الخليفة، لما عرف عن سنجر من مناهضته لجهود الخليفة في السعي للاستقلال بالعراق، وإعادة هيبة الخلافة العباسية وإحياء مجدها[251].

ومع أن الخليفة قد قتل في ظروف غامضة؛ إلا أن الراجح أن السلطان سنجر اتفق مع مسعود على التخلص من الخليفة، وقتله بالاعتماد على الإسماعيلية النزارية [252]، يؤيد ذلك مجموعة من القرائن التي أحاطت بمقتل الخليفة وهي:

1- أن السلطان مسعود أفرد للخليفة خيمة بعيدة عن المعسكر وتركها دون حماية تذكر وخاصة في يوم تنفيذه المهمة من قبل الإسماعيلية النزارية [253].
2- أن جماعة الإسماعيلية النزارية التي نفذت الجريمة جاءت إلى المعسكر برفقة رسول السلطان سنجر إلى مسعود، وأن هذا الرسول حمل رسالة سرية لم يتم الكشف عن محتواها لما تضمنته من اتفاق على قتل الخليفة[254].
3- أن السلطان مسعود أقدم على قتل دبيس محاولاً تبرئة نفسه من تهمة الخليفة وتحميل دبيس مسؤولية ذلك[255].
4- أن السلطان مسعود أطال مدة أسر الخليفة حتى وصلت إلى سبعة وستين يوماً تمكن خلالها من الاتفاق مع عمه السلطان سنجر على قتل الخليفة[256].
5- أن السلطان مسعود قد اعترف بقتله الخليفة المسترشد با في حديثه مع كاتب الإنشاء ابن الأنباري، حول صفات الخليفة الذي ترغب السلطنة السلجوقية ممثلة بسنجر ومسعود بتوليته بعد مقتل الخليفة المسترشد با وعزمه على خلع الراشد سنة 530هـ/1136م[257] إذ ذكر ابن الأنباري أن مسعود قال له:" ما الرأي وما التدبير في أمر الخلافة ومن ترون؟ فقالوا:" يا مولانا، الخلافة لولي العهد – يعني الراشد با – وقد بويع له بالخلافة" فقال السلطان - مسعود-: "ما إلى هذا سبيل، ولا أقره عليها، فإنه يحدث نفسه بالخروج مثل أبيه المسترشد با ، ومن حين تولي أبيه لم يترك الخروج علينا؛ كان قد خرج على أخي محمود مرتين، وعلي مرة، وهذه أخرى، وتم عليه ما تم، وبقيت علينا شناعة عظيمة وسبة إلى آخر الدهر، فإنه يقال: قتلوا الخليفة، وهم كانوا السبب في عود الخلافة إلى هذا البيت، ولا أريد أن يلي الأمر إلا رجل لا يدخل نفسه في غير أمور الدين، ولا يجمع ولا يخرج علي، ولا على أهل بيتي، وفي دار الخلافة جماعة، فاعتمدوا على شيخ منهم صاحب عقل ورأي تدبير، يلزم نفسه ما يجب من طاعتنا، ولا يخرج من داره؛ ولا تعرجوا عن هارون بن المقتدي بأمر ا ، فهو شيخ كبير، ولا يرى الفتنة، وقد أشار به عمي سنجر"[258].

الخاتمـة

درس هذا البحث حياة المستَرشد با وخلافته (512-529هـ/1119-1135م)، ودوره في مواجهة السيطرة السلجوقية على الخلافة العباسية، وتخليص العراق من نفوذهم، بهدف الكشف عن هذا الدور وتحديد أبعاده ودلالاته، تأكيداً أو نفياً، وقد خاص البحث إلى النتائج التالية:

أولاً: تراجعت قوة الدولة السلجوقية بعد وفاة السلطان ملكشاه (498-511/ 1105-1118م) وانقسمت على نفسها إلى دويلات صغيرة متناحرة.

ثانياً: كانت خلافة المستَرشد با (512-529هـ/1119-1135م) مليئة بصراعات السلاجقة ونزاعاتهم حول السلطنة، وخاصة تلك التي كانت الدولة السلجوقية تشهده عقب وفاة السلاطين والتي تركت آثارها السيئة على أحوال الناس ومعايشهم وأمنهم، فنفروا من الحكم السلجوقي وكرهوه، فاستغل المستَرشد با ذلك، واستطاع استقطاب العامة حوله بالاعتماد على تأثيره الديني فالتفّ العامة حوله وساندوه في حروبه مع دبيس ابن صدقة والسلاجقة.

ثالثاً: كرس الخليفة المستَرشد با خلافته لتحقيق استقلال العراق، وتقليص نفوذ السلاجقة فيه وإعادة هيبة الخلافة وقوتها، لكن السلاجقة لم يرضوا بهذا؛ فعملوا على الحد من قدراته وتجريده من سلطاته، كما فعلوا مع من سبقه من الخلفاء، وعندما لم تنجح هذه الإجراءات في الحد من طموحات المستَرشد با وتحركاته، عمد السلاطين السلاجقة بالاتفاق مع الحركة الإسماعيلية النزارية إلى قتل الخليفة.

الهوامـش

(1) ابن الأثير، (ت630هـ/1233م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية بالموصل، سيشار له تالياً: ابن الأثير، التاريخ؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م) سير أعلام النبلاء، 23م، سيشار له تالياً: الذهبي، سير؛ ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر (ت809هـ/1407م)، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين،2م سيشار له تالياً: ابن دقماق، الجوهر.

(2) ابن الأثير، التاريخ، ص 51؛ (ت 732هـ/1332م) تاريخ أبي الفداء المسمى المختصر في أخبار البشر، سيشار له تالياً: أبو الفداء، تاريخ؛ ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/1349م)، تاريخ ابن الوردي، سيشار له تالياً: ابن الوردي، تاريخ؛ ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ/1373م)، البداية والنهاية،15م، سيشار له تالياً: ابن كثير، البداية؛ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت911هـ/1506م)، تاريخ الخلفاء، سيشار له تالياً: السيوطي، تاريخ؛ شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، (الدولة العباسية)، سيشار له تالياً: شاكر، التاريخ.

(3) سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزاوغلي التركي (ت654هـ/1257م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، مجلس دائرة المعارف، ط1، حيدر آباد الدكن، الهند 1951م، ق1،جـ 8، ص70، سيشار له تالياً: سبط ابن الجوزي، مرآة؛ الأربلي، عبد الرحمن سنبط قنيتو (ت717هـ/1318م)، خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، سيشار له تالياً: الأربلي، خلاصة.

(4) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص70.

(5) الكازروني، علي بن محمد البغدادي (ت697هـ/1298م)، مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس؛ سيشار له تالياً، ابن الكازروني، مختصر.

(6) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (597هـ/1201م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. سيشار له تالياً: ابن الجوزي: المنتظم؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص152؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص257.

(7) ابن العمراني، محمد بن علي بن محمد (ت580هـ/1185م)، الإنباء في تاريخ الخلفاء، سيشار إليه تاليا ابن العمراني، الإنباء؛ السبكي، عبدالوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت771هـ/ 1370م)، طبقات الشافعية الكبرى، سيشار إليه تالياً: السبكي، طبقات؛ الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق (عاش في القرن السادس الهجري)، سيشار إليه تاليا الفارقي، تاريخ.

(8) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص162؛ ابن الأثير، علي بن محمد بن محمد (ت630هـ/1233م)، الكامل في التاريخ، م15، سيشار له تالياً: ابن الأثير، الكامل؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص258؛ النّويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت733)، نهاية الأرب في فنون الأدب، سيشار إليه تالياً النّويرى، نهاية؛ الذهبي، سير، جـ19، ص563؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص259؛ القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، أخبار الدول وآثار الأول في التّاريخ، مخطوط عالم الكتب بيروت ص174، سيشار ليه تالياً: القرماني، أخبار؛ ابن دقماق الجوهر،

ص163؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص 62؛ السيوطي، تاريخ، ص 339؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي، (ت1089هـ/1679م)؛ (د.ت)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، م8، سيشار اليه تالياً: ابن العماد الحنبلي، شذرات.

(9) القلانسي، ذيل، ص 200.

(10) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 74؛ The EI2, Encyclopedia of Islam, Leiden, 1995, AL-Mustarshid, VII pp 735.

(11) هو أبو الحسن علي بن أبي طاهر محمد بن علي بن محمد بن يوسف بن يعقوب البغدادي ابن العلاف، ولد سنة 446هـ/ 1055م، قرأ القران الكريم، وسمع الحديث النبوي الشريف على علماء عصره، وسمع منه آخرون، توفى في الثالث والعشرين من المحرم سنة 505هـ/ 1112م، انظر الذهبي، سير، جـ 19، ص 242-243.

(12) هو أبو القاسم علي بن أحمد بن محمد بن بيان بن الرزاز البغدادي، ولد سنة 413هـ/ 1023م، سمع من مشايخ عصره، وحدث عنهم، وتوفي ببغداد سنة 510هـ/ 1117م، انظر الذهبي، سير، جـ 19، ص 257-258.

(13) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص 156؛ الذهبي، سير، جـ 19، ص 561؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص232، هو أبو البركات أحمد بن عبدالوهاب بن السيبي، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولاه المخزن توفي سنة 515هـ/1122م ، انظر: ابن كثير، البداية، جـ11، ص232.

(14) هو أبو القاسم علي بن طراد بن محمد الهاشمي العباسي الزينبي البغدادي، ولد سنة 462هـ/ 1070م، قال عنه ابن الطقطقا: كان مترويا من المعرفة بقوانين الوزارة وأسباب الرياسة، وزر للمسترشد والمقتفي، توفي سنة 538هـ/ 1144م، انظر: ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 330؛ ابن الطقطقا، محمد بن علي بن طباطبا (ت 709هـ/ 1310م)، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر، بيروت ، ص303-304. سيشار له تالياً: ابن الطقطقا، الفخري؛ الذهبي، سير، جـ20، ص149-151.

(15) الذهبي، سير، جـ 19، ص561

(16) ابن العماد، شذرات، جـ4، ص86

(17) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص507.

(18) ابن العمراني، الإنباء، ص208؛ الكازروني، مختصر، ص217 .

(19) الفارقي، تاريخ، ص285. القلانسي، ذيل، ص200. أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73. ابن العبري، غريغوريوس الملطي (ت685هـ)، تاريخ مختصر الدول، المطبعة الكاثوليكية، ط2، بيروت1958م، ص200، سيشار إليه تاليا: ابن العبري تاريخ مختصر. النويري، نهاية، جـ23، ص291؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 226. الأصفهاني، خريدة، القسم العراقي، جـ 1، ص 26،29 ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي (562هـ/ 1167م)، التذكرة الحمدونية، مخطوط مكتبة أحمد الثالث، استنابول، جـ12، نسخة مصورة في مركز الوثائق والمخطوطات، الجامعة الأردنية، شريط ميكروفلم رقم (1087) ورقة رقم87، سيشار إليه تالياً: ابن حمدون، التذكرة. الأربلي، خلاصة، ص271-272. الكازروني، المختصر، ص219 ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص70-71؛ الذهبي، محمد بن أحمد (ت 748هـ/1348م)، دول الإسلام، سيشار إليه تالياً: الذهبي، دول.

(20) هو علي بن محمد بن علي الدامغاني، أبو الحسن قاضي القضاة ولد في رجب سنة 449هـ/1058م وشهد عند أبيه سنة 466هـ/1074م، وفوض إليه القضاء بباب الطاق، وتقلد القضاء ست عشر سنة، وولى القضاء لأربعة خلفاء هم القائم والمقتدي وتولى قاضي القضاة للمستظهر والمسترشد، وتوفي سنة 513هـ/1120م، ببغداد، انظر سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص81؛ القرشي، عبد القادر بن محمد (775هـ/1374م)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية، مير محمد كتب خانه، كراتشي، جـ1، ص 373-374، سيشار إليه تالياً، القرشي، الجواهر.

(21) ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص70-71؛ الذهبي، سير، جـ19، ص567.

(22) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209.

(23) ابن العمراني، الإنباء، ص211؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ الكازروني، المختصر، ص 219، الأربلي، خلاصة، ص272؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ النويري، نهاية الأرب، جـ23، ص291؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520)، ص273؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص226، ابن خلدون، عبدالرحمن (ت808هـ/ 1406م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، طبعة مزيدة ومنقحة، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1999م، جـ6، ص1024. سيشار إليه تالياً: ابن خلدون، العبر.

(24) هو دبيس بن صدقة (501-529هـ/1108-1135م) أخر حكام الإمارة المزيدية (387-558هـ/998-1163م) حول الإمارة المزيدية، ناجي، عبد الجبار، الإمارة المزيدية، ص59-63. سيشار إليه تالياً: ناجي، الإمارة.

(25) ابن العمراني، الإنباء، ص208-209؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص162؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص226؛ ابن خلدون، العبر، ج6، ص 1024؛ الآلوسي، المسترشد ، ص 498.

(26) ابن العمراني، الإنباء، ص211-212.

(27) ابن قاضي شهبة، الكوكب، ص84.

(28) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن علي (ت562هـ/ 1167م)، التذكرة؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص171؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث (501-520هـ)، ص275.

(29) ابن العمراني، الإنباء، ص212.

(30) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص174-175؛ النويري، نهاية، جـ23، ص 262؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص275؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1024.

(31) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ الكازروني، مختصر، 217؛ ابن كثير، البداية،جـ11، ص251؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1024.

(32) حول سلاطين السلاجقة، وفترات حكمهم، ومناطق حكمهم انظر الملحق رقم 1 ص29.

(33) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 87؛ الحسيني، العراضة، ص20؛ إقبال، عباس، تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (205-1343هـ/820-1925م)، 1989م، سيشار اليه تالياً: إقبال، تاريخ.

(34) مدينة عظيمة ما بين جيحون والقادسية وبينها وبين الري مائة وستون فرسخاً، انظر الحموي، معجم البلدان، جـ5، ص331.

(35) الفارقي، تاريخ، ص159؛ البنداري، الفتح بن علي بن محمد الأصفهاني، 1900م، تاريخ دولة آل سلجوق، مطبعة الموسوعات، القاهرة، ص6، سيشار اليه تالياً: البنداري، تاريخ؛ ابن خلكان، أحمد بن محمد (ت681هـ/ 1283م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، جـ5، ص66. سيشار اليه تاليا: ابن خلكان، وفيات،

(36) الفارقي، تاريخ، ص155-156؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص323؛ البنداري، تاريخ، ص10، الحسيني، أخبار، ص19؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص98؛ ابن الدقماق، الجوهر، ص156.

(37) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص227؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص185؛ القلقشندي، مآثر، جـ1، ص339؛

(38) ابن الجوزي، المنتظم، جـ16، ص87؛ ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص366؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448-480هـ)، ص112-113.

(39) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص366؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، حوادث سنوات (448- 480هـ)، ص112؛ النويري، نهاية، جـ23، ص235.

(40) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص394؛ الحسيني، العراضة، ص51-54؛ الحسيني، زبدة، ص177-119؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ق1، ص33-34.

(41) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص396؛ الحسيني، أخبار، ص56-58؛ المقريزي، السلوك، جـ1، ق1، ص33-34 .EI2, Malik-Shah, VI pp273.

(42) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص70-71.

(43) المصدر نفسه، جـ9، ص79-80؛ الحسيني، أخبار،ص 79؛الحسيني زبدة، ص197؛ القلانسي، ذيل، ص147؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص127 .

(44) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص88، ص102-103

(45) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص34-35؛ الحسيني، أخبار، ص77؛ اليافعي، مرآة، جـ3، ص153؛ الجميلي، تاريخ، ص55-57.

(46) ابن الأثير، الكامل، جـ8، ص418؛ الحسيني، أخبار،ص 63-64؛ الحسيني، زبدة، ص131-132.

(47) الجميلي، تاريخ، ص48-51؛ الجالودي، تطور، الجالودي، عليان، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (447-590هـ/ 1055-1193م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان1996م ، ص90.

(48) الحسيني، أخبار، ص58.

(49) ابن العمراني، الإنباء، ص211؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص78-79؛ الحسيني، زبدة، ص197-199؛ الراوندي، راحة، ص302؛ البنداري، تاريخ، ص165؛ القلانسي، ذيل، ص218؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص134.

(50) Lane-poople, The Mohammadan Dynasties, pp152.

(51) ابن خلكان، وفيات، جـ2، ص328-329؛ الجالودي، تطور، ص85.

(52) ابن الأثير، الباهر، ص71-52.

(53) الغزالي، فضائح، ص23؛ الجويني، عطا ملك (681هـ)، جهانگشاي، نقله عن الفارسية محمد التونجي، ط1، دار الملاح للطباعة والنشر، دمشق1985م، جـ2، ص308-309، سيشار إليه تالياً الجويني، جهانگشاي. حلمي، السلاجقة، ص168، حسنين، إيران، ص77-78. عن مبادئ وأفكار الفرق الشيعية انظر، الغزالي، فضائح؛ الجويني، جهانگشاي. المجلد الثاني.

(54) ابن العمراني، الإنباء، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص168-169؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص2؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص22-24؛

الحسيني، زبدة، ص139-141، ابن العبري، تاريخ مختصر، ص192-193.

(55) عن إمارة الرها انظر: رنسيمان، تاريخ، جـ1، ص287 وما بعدها؛ الرويضي، محمود محمد، إمارة الرها الصليبية (1097-1155م/490-550هـ)، ط1، وزارة الثقافة، عمان 2002م سيشار إليه تالياً ـ الرويضي، إمارة.

(56) عن إمارة إنطاكيا انظر: الصوري، وليم، تاريخ الحروب الصليبية، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، ط1، دار الفكر، د.م 1980م، جـ1، ص256-283؛ رنسيمان تاريخ، جـ 1، ص303، 327-334.

(57) عن إمارة طرابلس انظر: الصوري، تاريخ، جـ2، ص279-287؛ زكار سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، ط3، دار الفكر، بيروت 1975، 242-247.سيشار إليه تالياً: زكار، مدخل.

(58) عن مملكة بيت المقدس اللاتينية انظر: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية مملكة بيت المقدس (1100-1187م)، نقله إلى اللغة العربية الباز العريني، ط1، دار الثقافة، بيروت 1968م، جـ1، ص375 وما بعدها؛ سيشار إليه تالياً، رنسيمان، تاريخ.

(59) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص47-48؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص19 ابن الأثير، الباهر، ص32-33؛ خليل، عماد الدين، ص135-136؛ إقبال، تاريخ، ص272-274.

(60) أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص50؛ ابن الأثير، الباهر، ص20-21.

(61) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص167؛ القلانسي، ذيل، 199؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص136، السيوطي، تاريخ، ص338، أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 50.

(62) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص167؛ القلانسي، ذيل، ص198- 199؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص135-136، السيوطي، تاريخ، ص338.

(63) ابن الأثير، الكامل، جـ 9، ص168؛ البنداري، تاريخ، ص115.

(64) البنداري، تاريخ، ص110، الراوندي، راحة، ص257-260؛ الحسيني، العراضة، ص178-184، إقبال، تاريخ، ص276.

(65) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص182؛ إقبال، تاريخ، ص275-276.

(66) الحسيني، أخبار، ص88-89.

(67) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص182-184؛ البنداري، تاريخ، ص113-114؛ الحسني، أخبار، ص92.

(68) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص89؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص41

(69) ابن الجوزي، المنتظم، جـ 17، ص172؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص185؛ الحسيني، أخبار، ص88-89.280.

(70) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص185؛ حلمي، السلاجقة، ص55.

(71) الراوندي، راحة، ص260.

(72) عن علاقات الخلافة العباسية بالسلاجقة انظر: الجالودي، تطور السلطنة وعلاقتها بالخلافة خلال العصر السلجوقي (447-590هـ/1055-1193م).

(73) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص53؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص89؛ البنداري، تاريخ ، ص113-114؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص41

(74) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 186؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص283-284.

(75) (1) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص177؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص279؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص10261027.

(76) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص211.

(77) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص290.

(78) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص193.

(79) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ القلانسي، ذيل، ص210؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1040-1041.

(80) شهدت العراق حدوث فيضانات في سنوات: 512هـ/، 515هـ/1122م، 516هـ/ 1123م، 520هـ/1127م، 517هـ/1124م، ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص196-197، 203-204، 232؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص211، 218).

(81) شهدت العراق انتشار الأمراض والأوبئة في سنوات: 512هـ/1119م، 517هـ/1124، 518هـ/1125م (ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163، 224، 232؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص225).

(82) ارتفعت مستويات الأسعار في سنوات :512هـ/1119، 516هـ/1123م ،520هـ/1127م، 517هـ/1124م، (ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207، 221؛ ابن الأثير،الكامل، جـ9، ص179؛ 225؛ القلانسي، ذيل، ص208).

(83) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207.

(84) المصدر نفسه، جـ17، ص163؛ ابن الأثير،الكامل، جـ9، ص193، ابن كثير البداية، جـ11، ص225.

(85) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص185؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص281-282.

(86) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص177، ابن كثير، البداية، جـ11، ص256.

(87) النظامي العروضي السمرقندي، جهار مقالة، ترجمة عبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب، ص31، نقلاً عن أمين، تاريخ، ص141.

(88) الفارقي، تاريخ، ص285؛ ابن العمراني، الإنباء، ص210؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 162؛ ابن الأثير، الكامل ، جـ9، ص 283؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص 156؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص 73؛ السبكي، طبقات، جـ7، ص258؛ النّويري، نهاية، جـ23، ص 277؛ الذهبي، سير، جـ19،ص 563؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص 259؛ القرماني، أخبار، ص174؛ ابن دقماق، الجوهر، ص163؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62؛ السيوطي، تاريخ، ص339؛ ابن العماد ، شذرات، جـ4، ص86.

(89) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص184؛ البنداري، تاريخ، ص113-114؛ الحسيني، ناصر بن علي (ت575هـ/ 1180م)، 1984، أخبار الدولة السلجوقية، ص92 سيشار اليه تالياً: الحسيني، أخبار.

(90) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص185؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص185.

(91) سورة الزلزلة، الآية 7-8.

(92) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص196؛ القلانسي، ذيل، ص238؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص287-288.

(93) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص264؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص259؛ ابن كثير، البداية، جـ11؛ الحسيني، العراضة، ص115؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.

(94) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص186-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص176-177.

(95) المصدر نفسه، جـ9، ص177؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص279؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1026-1027.

(96) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص186-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص194؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1033.

(97) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص195-197؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص193-194.

(98) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص213-214؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص235-236؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1036.

(99) ابن الدبيثي، محمد بن سعيد بن يحيى (ت637هـ)، ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، منشورات وزارة الأعلام، بغداد، 1974م ، جـ1، ص 227-228، سيشار اليه تالياً: ابن الدبيثي، ذيل؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص293.

(100) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص516؛ ابن الطقطقا، الفخري، ص 304.

(101) ابن العمراني، الإنباء،ص 216؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص250-251؛ الكازروني، المختصر، ص223؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص248؛ سبط ابن الجوزي مرآة، ق1، جـ8، ص127؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص246؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص66.

(102) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص163؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص169-170؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص83.

(103) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص187؛ الذهبي، تاريخ ، أحداث ووفيات (501-520هـ)، ص285.

(104) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 179؛ فوزي، فاروق عمر، النهوض العربي في العراق والأقاليم المجاورة في العصور العباسية الأخيرة (247-656هـ/861-1258م)، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد 1989م، ص130، سيشار إليه تالياً فوزي، النهوض

(105) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص269.

(106) ابن حمدون التذكرة، ص173؛ ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص272؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص140.

(107) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 179؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-110؛ النويري، نهاية، جـ23، ص266.

(108) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205-210؛ الكازروني، مختصر، ص22؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219-220؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-110؛ الأزدي، أخبار، جـ2، ص443؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص297-299؛ الذهبي، سير، جـ19، 565-566.

(109) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص173.

(110) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص285؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204.

(111) EI2, Saldjukids, VIII pp 943.

(112) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص204-205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 214؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ 8، ص100-101، ابن العديم، عمر بن احمد ابن أبي جرادة (ت660هـ/1262م)، 1988م، زبدة الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دمشق،

جـ7، ص3480، سيشار اليه تالياً: ابن العديم ، بغية.
(113) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص205؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص214.
(114) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص209؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 215.
(115) القزاز، الحياة، ص62-63.
(116) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219؛ فوزي، النهوض ، ص131.
(117) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ 8، ص 100-101؛ الجالودي، تطور ص17.
(118) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص216؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219.
(119) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 219.
(120) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص205-210؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص219-221. ابن الأثير، الباهر، ص26-27؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص109-110. الذهبي، تاريخ ،حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص297-299.
(121) السامرائي، خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي (132-656هـ/749-1258م)، جامعة الموصل، الموصل 1988م، ص284.
(122) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص207؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص219.
(123) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص228-229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232-233؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241.
(124) السامرائي، تاريخ، ص285.
(125) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8،ص110؛ الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص298.
(126) الذهبي، تاريخ ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص298.
(127) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص218-219.
(128) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص181-182؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص213؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1035
(129) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص219-220، 228؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص221.ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1040.
(130) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224-225؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241.
(131) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 224؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232.
(132) المصدر نفسه، جـ9، ص232.
(133) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن الأثير.
(134) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص224 ؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9 الكامل، جـ9، ص233؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042، ص232؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1041.
(135) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص228؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1041.
(136) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص232؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042.
(137) ابن الطقطقا، الفخري، ص305..
(138) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص308؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص242.
(139) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231-235؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص308.
(140) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص237؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1042-1043.
(141) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229.
(142) الجالودي، تطور، ص118.
(143) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1043.
(144) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص231؛ الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ) ص308.
(145) ابن العمراني، الإنباء،ص 216.
(146) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)، ص309.
(147) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 232 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238؛ابن خلدون، العبر،جـ6، ص 1043.
(148) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238.
(149) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 232 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص238؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1043.
(150) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 232؛ المقابلة، معن، إحياء، الخلافة العباسية، في الفترة من 530-622هـ/1135-1225م، رسالة دكتورة غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان1999م ، ص58، سيشار اليه تالياً: المقابلة، إحياء.
(151) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص239 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص239؛ الذهبي، دول، جـ2، ص31؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1043-1044.
(152) الذهبي، تاريخ، حوادث ووفيات (501-520هـ)،

ص310-311.
(153) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 242-243؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص239؛ ؛ الذهبي، دول، جـ 2، ص 31؛ ابن خلدون، العبر،جـ6، ص 1044؛ السامرائي، تاريخ، ص288؛ مقابلة، إحياء، ص58.
(154) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص239.
(155) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 263-264.
(156) 232 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص239؛ الحسيني، العراضة، ص115.
(157) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 244 ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص241.
(158) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 244 .
(159) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص 249.
(160) المصدر نفسه، جـ17، ص 250-252.
(161) EI2, Saldjukids, VIII pp 943
(162) (1) إقبال، تاريخ، ص282-283.
(163) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 263-264؛ القزاز، الحياة، ص 47؛ الجالودي، تطور، ص119؛مقابلة إحياء، ص58.
(164) ابن العمراني، الإنباء، ص217.
(165) المصدر نفسه، ص217
(166) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 264؛ ابن الأثير، الكامل، ص259؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.
(167) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262.
(168) أبو الفداء، المختصر، ص66-67؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.السامرائي، تاريخ، ص288-289.
(169) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262.
(170) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (697هـ/1298م)، 1957م، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ص47، سيشار اليه تالياً: ابن واصل، مفرج؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046
(171) ابن خلدون، العبر،جـ6، ص1046.
(172) أبو الفداء، المختصر، ص66؛ السامرائي، تاريخ، ص288-289.
(173) السامرائي، تاريخ، ص289؛ المقابلة، إحياء، ص56.
(174) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص262؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1046.
(175) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263 ؛ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.
(176) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263؛ أبو الفداء، المختصر، ص68؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.
(177) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص229؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص233؛ أبو الفداء، المختصر، ص68؛ ابن كثير، البداية، جـ11، ص241؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1042-1043.
(178) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 47-48؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047.
(179) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270.
(180) المصدر نفسه، جـ17، ص271؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص69؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 48؛ ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص59؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1047-1048.
(181) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص270؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص263-264؛ أبو الفداء، المختصر، ص69؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص48-49؛ البنداري، تاريخ، ص143-145؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص77.
(182) ابن العمراني، الإنباء، ص217؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص50-51.
(183) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص265؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص48؛ الذهبي، دول، جـ2، ص33.
(184) ابن العبري، تاريخ زمان ، ص145.
(185) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 272.
(186) الحسيني، أخبار، ص101
(187) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 276.
(188) المصدر نفسه، جـ17،ص 283.
(189) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص283؛ ابن الأثير، الكامل، ص265.
(190) المصدر نفسه، جـ9، ص276.
(191) المصدر نفسه، جـ9، ص270؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 52؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص 1050.
(192) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص266.
(193) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص276؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 52؛ الذهبي، دول، جـ2، ص34؛ القلانسي، ذيل، ص249.
(194) ابن العمراني، الإنباء، ص218-219؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278؛ القزاز، الحياة، ص50؛ حسنين، إيران، ص145؛ الجالودي، تطور، ص212.
(195) ابن الأثير، الباهر، 47؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص204؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1050؛ خليل،عماد الدين، عماد الدين زنكي، مؤسسة الرسالة ط2، بيروت1982م ، ص55 ، سيشار اليه تالياً: خليل، عماد الدين.
(196) ابن العمراني، الإنباء، ص218؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 204؛ الذهبي، دول، جـ2، ص34.

(197) البنداري، تاريخ، 145-146؛ الذهبي، دول، جـ2، ص34.
(198) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص266-267؛ الحسيني، أخبار، ص101-102.
(199) الأصفهاني، زبدة، ص184-187؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269؛ الحسيني، أخبار، ص102؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1049.
(200) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269 .
(201) الحسيني، أخبار، ص102.
(202) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269-270؛ الحسيني، أخبار، ص103-104.
(203) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص270؛ القلانسي، ذيل، ص238؛ الحسيني، أخبار، ص103-104؛ ابن ابن سباط، حمزة بن احمد بن عمر (ت926هـ/1521م)، صدق الأخبار تاريخ بن سباط، جـ1، ص53، سيشار اليه تالياً: سباط، تاريخ؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1050.
(204) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 274؛ القلانسي، ذيل، ص237-238؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص56؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1051.
(205) ابن الجوزي،المنتظم، جـ9، ص283.
(206) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص266.
(207) المصدر نفسه، جـ17، ص293؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص 58؛ البنداري، تاريخ، ص161؛ ابن الحسيني، أخبار، ص107.
(208) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص291؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1052.
(209) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص278.
(210) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293.
(211) المصدر نفسه، جـ17، ص293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 281؛ الحسيني، العراضة، ص118.
(212) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293.
(213) ابن الجوزي، المنتظم ، جـ17، ص294.
(214) ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1053.
(215) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282؛ الحسيني، العراضة، ص118-119.
(216) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص263؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1،جـ8، ص154؛ القلانسي، ذيل، ص248؛ ابن العديم ، تاريخ، جـ2، ص450-451.
(217) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59.
(218) الذهبي، سير،جـ19،ص161؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59. الزهراني، نفوذ ، ص161.
(219) الجالودي، تطور، ص126، السامرائي، تاريخ، ص290؛
(220) EI2, AL-Mustarshid, VII pp 735.
(221) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص293؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 281؛ الحسيني، العراضة، ص118.
(222) الفارقي، تاريخ، ص250؛ ابن العمراني، الإنباء؛ ابن الكازروني، تاريخ، ص222؛ البنداري، تاريخ، ص160-162.
(223) Muir, The Caliphate, its rise, decline, and fall, pp579.
(224) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282.
(225) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص269-270؛ الحسيني، أخبار، ص103-104.
(226) الفارقي، تاريخ، ص250؛ ابن العمراني، الإنباء ، ص219 ؛ ابن الكازروني، تاريخ، ص222؛ البنداري، تاريخ، ص161-162.
(227) البنداري، تاريخ، ص162.
(228) ابن العبري، تاريخ زمان، ص 147.
(229) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص295؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9،ص 282؛ البنداري، تاريخ، ص162؛ أبو الفداء، المختصر، جـ2، ص73؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص59-60؛ الحسيني، العراضة، ص118-119.ابن خلدون، العبر، جـ6، ص1053-1054.
(230) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص 47.
(231) الأصفهاني، زبدة، ص204؛ ابن الأثير، الكامل، ص282؛ الذهبي، سير، جـ19، ص568.
(232) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص298؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص282-283.
(233) ابن الجوزي، المنتظم،جـ17، ص 298؛ السيوطي، تاريخ، ص 340، ابن قاضي شهبة؛ الكواكب، ص100-101؛ الذهبي، سير، جـ19، ص567؛ ابن العماد، شذرات، جـ4، ص87-88؛ الجالودي، تطور، ص123.
(234) ابن الأثير، الكامل، ص282؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص60؛ الذهبي، سير، جـ19، ص568.
(235) ابن العمراني، الإنباء، ص220.
(236) ابن الأثير، الكامل، ص283.
(237) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.
(238) ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 103-104.
(239) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 296؛ النويري، نهاية ،جـ23،ص275.
(240) ابن الأثير، الباهر، ص49-50.
(241) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17،ص 298.
(242) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.
(243) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص 283.
(244) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص298؛ ابن واصل،

مفرج، جـ1، ص61؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 10-101؛ ابن خلدون، العبر، جـ6، ص340.

(245) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61.

(246) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص60-61؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط ، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابن الوردي، تاريخ ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

(247) القلانسي، ذيل، ص250.

(248) سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص157-158؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 102-103، شاكر، تاريخ، جـ1، ص260.

(249) الأصفهاني، خريدة ،جـ1، ق1، ص29؛ ابن سباط، تاريخ، جـ1، ص58.

(250) ابن الطقطقا، الفخري، ص303؛ السيوطي، تاريخ، ص341؛ العبود، نافع توفيق، "جهود الخلافة للتحرر من النفوذ السلجوقي خلال القرن السادس الهجري"، مجلة المورد العراقية، العدد الأول، 1990، م1، ص50، سيشار إليه تالياً العبود جهود

(251) الحسيني، زبدة، ص209.

(252) الأصفهاني، خريدة، جـ1، ق1، ص29؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ق1، جـ8، ص157-158القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص102-103البنداري، تاريخ، ص 162.

(253) EI2, Saldjukids, VIII pp 944

(254) ابن الجوزي، المنتظم، جـ17، ص 299؛ ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ القلانسي، ذيل، ص250؛ ابن سباط ، تاريخ، جـ1، ص60؛ ابن العبري، تاريخ زمان، ص149؛ أبو الفداء، المختصر،جـ 2، ص 73، ابن الوردي، تاريخ، جـ2، ص62-63؛ البنداري، تاريخ، ص 162.

(255) ابن الأثير، الكامل، جـ9، ص283؛ الأربلي، خلاصة، ص273؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61.

(256) ابن العديم، بغية، جـ7، ص3491؛ ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61؛ ابن خلدون، العبر، جـ6،ص 1055.

(257) البنداري، تاريخ، ص 162؛ ابن قاضي شهبة، الكواكب، ص 101.

(258) EI2, AL-Mustarshid VII pp 734-735.

(259) ابن واصل، مفرج، جـ1، ص61-62، نقلا عن ابن الأنباري.

The Relationship of Caliph Al- Mustarshid with the Saldjuki Sultanate (512-529 /1119-1135)

*Hmud Mad'an Iyal-Salman**

ABSTRACT

This study aims at revealing the relationship of Caliph Al- Mustarshid and the Saldjuki Sultanate and his role in resisting its spread in Iraq. The study deals with the life of Caliph Al- Mustarshid (512-529 / 1119-1135). It also introduces the establishment and development of the Saldjuki Sultanate (429-512/ 1038-1135). The study focuses on the relationship between Caliph Al- Mustarshid and the Saldjuki Sultanate (512-529/ 1119-1135). This period has been described into the following four stages: preparation for confrontation (512-517/ 1119-1131), the first confrontation (517-525/ 1124-1131), the second confrontation and independence (525-529/ 1131-1135), war with Sultan Masoud and the Caliph's murder (529/1135).

Keywords: Al- Mustarshid, Saldjuki Sultanate, Abbasid Caliphate.

* Department of History, Mut'ah University, Jordan. Received on 28/5/2009 and Accepted for Publication on 27/1/2010.